



مراجعات

محرم 1439 هـ - أكتوبر 2017 م

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الأطروحات العلمية المنجزة في الخارج رسالة دكتوراه بعنوان «المعتقدات الصحية والالتزام بالأدوية الخافضة للضغط في عُمان»، قدمتها الدكتورة هدى النعمانية لجامعة نورث كارولينا في تشابل هيل، سنة ٢٠١٦.

تذكر الباحثة في ملخص دراستها أن ارتفاع ضغط الدم مشكلة صحية خطيرة في جميع أنحاء العالم، وفي عُمان، فإن معدل انتشاره وعدم انضباطه مرتفع جدا. وترى بأن السيطرة على ذلك يتطلب الالتزام بالأدوية الخافضة للضغط؛ لمنع مضاعفاته الصحية الخطيرة، ولكن الالتزام السليم بالأدوية لا يشكل تحديا في عُمان فحسب وإنما هو مشكلة عالمية. وتؤكد بأن هناك العديد من العوامل التي تسهم في عدم الالتزام بالدواء بين المرضى الذين يعانون من ارتفاع الضغط، من أهمها معتقداتهم حول ضغط الدم وأدوية، وفي عُمان، لا تتوفر دراسات ناقشت هذا العامل؛ وعليه فإن رسالتها تهدف إلى دراسة العلاقة بين معتقدات العمانيين حول ارتفاع ضغط الدم، والخوف من الأدوية، والكفاءة الذاتية، والالتزام بالدواء. استخدمت الباحثة «نموذج المعتقدات الصحية HBM» لتوجيه هذه الأطروحة، وأعدت ثلاث «مخطوطات» لتحقيق هدفها العام؛ المخطوطة الأولى هي مراجعة منهجية للأدلة الكمية المتاحة حول العلاقة بين مختلف المعتقدات الصحية للمرضى، والالتزام بالدواء بين أولئك الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم. وقد تمثلت المخطوطتان الثانية والثالثة في دراسة تجريبية ودراسة رئيسية، على التوالي، حيث أفادت النتائج عن وجود علاقة بين معتقدات المرضى حول (حدة ارتفاع الضغط، والضرورة الدوائية، والمخاوف الدوائية، والكفاءة الذاتية) والالتزام الدوائي بين العمانيين الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم. وتؤكد الباحثة أن النتيجة الرئيسية للمخطوطات الثلاث هي أن المرضى الذين لديهم معتقدات أقوى حول ضرورة الأدوية الخافضة للضغط، وقلق أقل بشأن الآثار الجانبية للدواء وآثار الاعتماد عليه على المدى الطويل، وارتفاع في الكفاءة الذاتية؛ كل ذلك ارتبط ارتباطا وثيقا بالالتزام الدوائي العالي. وتضيف الباحثة أن نتائج الرسالة تشير إلى أن معتقدات المرضى من المحدثات الهامة لالتزام بالدواء، وينبغي النظر فيها من قبل الأطباء والباحثين لتحسين الالتزام بالأدوية الخافضة للضغط.

تكوّنت هذه الأطروحة من خمسة فصول: الفصل الأول يتضمن بيان المشكلة، والإطار المفاهيمي، وأهمية الدراسة لعُمان. والفصل الثاني يقدم مراجعة منهجية للدراسات السابقة حول ارتفاع ضغط الدم، ومعتقدات المرضى، والالتزام الدوائي. والفصل الثالث يعرض نتائج الدراسة التجريبية التي نفذتها الباحثة في عُمان لمعرفة إمكانية تطبيق الدراسة. والفصل الرابع يعرض نتائج الدراسة الفعلية التي تصف معتقدات المرضى العمانيين حول ارتفاع الضغط، والأدوية، والكفاءة الذاتية، والالتزام الدوائي، كما يقدم نتائج الدراسة حول العلاقة بين المعتقدات والالتزام الدوائي، والعلاقة بين الالتزام الدوائي والتحكم بارتفاع الضغط. أما الفصل الخامس فهو تلخيص شامل للدراسة ومناقشة لنتائجها، كما أنه يقدم مقترحات تطبيقية للممارسة، والبحوث المستقبلية، والسياسات.



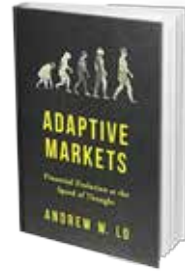
• تغيير واحد بالمائة،
• لي مين كيو



• أسرار طريق الحرير القديم،
• عبد اللاهات كخاروف



• الشهيد في الإسلام الحديث،
• ماثيرها تينا



• تكيف الأسواق،
• أندرو ون تشوان لو



• البوابة الخلفية لهولندا،
• بيتر توبس ويان ترومب



• لحوم البقر في الهند العظيمة،
• سوامي شاكتي بهادرانندا



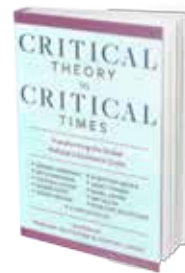
• تحدي الإسلام،
• كلاوش فون شتوش



• موت أوروبا الغربي،
• دوجلاس موراي



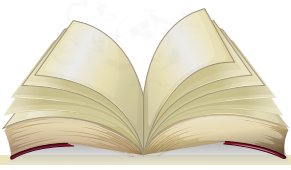
• الابتكار في مياه عكرة،
• إيضان سانسوليو وأرنو سانت مارتان



• النظرية النقدية في عالم متغير،
• مؤلف جماعي



• البلاد في ما وراء الجبال،
• نيربرعام



«الشهيد في الإسلام الحديث: الورع والسياسة والسلطة».. لمائير هاتينا

عز الدين عناية *

يندرج كتاب «الشهيد في الإسلام الحديث» ضمن الأبحاث السوسولوجية التي تتناول ظاهرة العمليات الاستشهادية في المجتمعات الإسلامية إبان الحقبة المعاصرة. صدر الكتاب بالإيطالية، وحظي مؤلفه بحضور لافت في وسائل الإعلام؛ لما يعالجه من قضايا راهنة على صلة بموضوعي الأمن والإرهاب في الغرب. المؤلف هو أستاذ وباحث في الدراسات الإسلامية وقضايا الشرق الأوسط في الجامعة العبرية في القدس. صدرت له جملة من الأبحاث؛ منها: «الهويات السياسية في الشرق الأوسط: الخطاب الليبرالي والتحديات الإسلامي في مصر» (٢٠٠٧)، و«الفكر الليبرالي العربي بعد حرب ٦٧: مآزق الماضي وتطلعات الراهن» (٢٠١٥). ويستمد الكتاب -الذي تتولى عرضه- أهميته من كونه يعبر عن وجهة نظر أكاديمية إسرائيلية، تحاول رصد ظاهرة التضحية بالنفس وتفهمها بعيداً عن الخطاب السياسي الإسرائيلي الرسمي المتشجّع في غالب الأحيان.

فعلى نطاق عام، مثل التوتّر العنوّان الأبرز في علاقة العالم الإسلامي بالعالم الغربي على مدى العقود الأربعة الأخيرة، وبما يفوق ذلك مع الدولة العبرية منذ اغتصاب فلسطين. ولم تبق المسألة في حدود المماحكة اللفظية أو الجدل السياسي، أو في مستوى المحاصرة والمقاطعة، بل تخلّلت ذلك عمليات اجتياح واحتلال وتهجير وتشريد وهجمات واغتيالات وحروب، من الطرف الغربي ومن الجانب الإسرائيلي كان العرب فيها المتضرر الأبرز، ولم تكن عمليات العدوان وصدّه في ذلك التدافع العنيف متوازنة بين الطرفين. لكن في ظلّ ذلك الصراع الذي طبع العقود الماضية، والذي ما إن يهدأ حتى يتفجّر مجدداً، برزت ظاهرة العمليات الاستشهادية أو العمليات الانتحارية، بحسب توصيف الجهة التي تباركه أو التي تمقته، سلاحاً في قلب هذا الصراع. والفعلة التي يتمحور تنفيذها بالأساس حول فرد أو ثلّة آمنت بذلك الخيار، لطالما أقضت مضجع المسك بمقائيد القوة والمتحكم بمسرح عمليات التنفيذ.

الكارثة، وهو ما ينطبق على الحالة الفلسطينية اليوم وفق تحليله. في الأثناء يذكر الباحث رأياً لموسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤م) المتشدد بشأن خيار الاستشهاد الذاتي والقبول به في حالات الاضطرار لا غير، ويرضى بدل ذلك بالخضوع والإذعان. وفي تناول الباحث المسألة ضمن التراث المسيحي، يبرز أن مفهوم الشهيد لم يخرج من مدلوله اللاهوتي إلى دلالة على صلة بالنضال السياسي والصراعات الإثنية سوى مع حقبة الإصلاح البروتستانتية، إبان القرن السادس عشر، لتشمل الشهادة أيضاً كل من قضى نحبه لأسباب سياسية. وتبقى تضحية المسيح بذاته على الصليب -وفق المنظور الإيماني المسيحي- دالة وبارزة من زاوية إيمانية. وقد تتابع ذلك مع آباء الكنيسة الأوائل ممن لقوا حتفهم مثل ترتوليانس القرطاجي (ت. ٢٢٥م).

غير أن العصور الحديثة شهدت تحولا في دلالات مفهوم الشهادة، فمع الثورة الفرنسية خرج الاستشهاد من دائرة دينية إلى دائرة مدنية لائكية ذات بُعد دنيوي، وهو ما تمّ أيضاً في ألمانيا، بهدف رص صفوف الوحدة الوطنية. وعلى إثر ذلك تحوّل الاحتفاء بالشهادة من مضامينه الدينية الأخروية إلى دلالات دنيوية، عنوانها المجد والخلود للشهداء دنيويا، واستدعاء تلك الفعلة في الأعياد والذكرات الوطنية الدورية. ويبرز الباحث ضمن

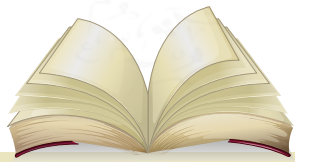
السلوقيين. وقد تلخصت دواعي الصراع حينها في الإصرار على عقيدة التوحيد ورفض وثنية الإله زيوس المفروضة، حسب ما يورد الباحث، ولكن المسألة أبعد من ذلك التقييم وفق تقديرنا، كون الصراع في ذلك العهد ما كان دينيا فحسب، بل صراع هيمنة شاملة بمدلولها السياسي والاقتصادي لبست لبوس الدين.

وضمن ذلك الإطار، يستحضر الكاتب حوادث الاستشهاد الإرادي الحاصلة في التاريخ اليهودي اللاحق، مثل الإصرار على الانتحار الجماعي في قلعة مسعدة (سنة ٧٣م)، الذي يبرئه من تهمة الانتحار الجماعي ويطلق عليه الاستشهاد الجماعي، إحدى الممارسات اللافتة في التاريخ اليهودي وقد أتت بعد ثلاث سنوات من تهديم الهيكل. أو كذلك ما حصل في ثورة باركوبكا ضد الرومان (١٣٢-١٣٥م)، ويربط الأمر بتراجع سلطة السنهدريم (مجمع الكهنة) على أنشطة الأطراف، وتضخّم نفوذ النحل والطوائف المناهضة للرومان، وهو ما تسبّب في تسليط عقوبة جماعية انتهت بتهديم الهيكل. وقد قادت آثار هذه الأحداث الفردية والمستقلة إلى فرض واقع الشتات على شعب إسرائيل، ليخلص الباحث إلى أن العمليات الاستشهادية في التاريخ اليهودي القديم، قد حصلت تحت وقع حماسة مفرطة لمعتقد التوحيد دون مراعاة أوضاع الأكثرية، ما جرّ إلى تلك

لكن ظاهرة الاستشهاد الذاتي والإلقاء الإرادي بالنفس في مهاوي الردى، لم تنحصر في الخصم الخارجي والآخر فحسب، بل ارتدت بفعل تطورات سياسية واجتماعية أمت بالمنطقة نحو الأوساط الصادرة منها، ولم تعد تلك الأوساط بمنأى عن تشظّي آثار تلك الظاهرة، ما خلق جدلا واسعا بشأنها.

يحاول هذا البحث فهم ظاهرة خيار الاستشهاد الإرادي في الإسلام، وتحديدًا في الأزمنة الحديثة، أكان في الأوساط السنية أو الشيعية، العربية أو غير العربية. معتمداً الباحث في ذلك أدوات المنهج السوسولوجي المقارن في تتبع الظاهرة، من خلال التطرق إلى الموضوع في اليهودية والمسيحية أيضاً، ليقدّم الكتاب إطاراً شاملاً للشهادة ضمن خطاب الحركات الإسلامية المعاصرة.

وفي القسم الأول من الكتاب، وهو عبارة عن مدخل تاريخي تمهيدي، ينطلق الباحث في معالجة الظاهرة من التراث العبري. فقد لاح سلاح خيار الموت الإرادي جليا في التاريخ اليهودي، حيث بدأ الربّي عقيبا بان يوسف علماً بارزاً بين المضحّين بأنفسهم في سبيل عقيدة التوحيد وهو يردّد: «اسمع يا إسرائيل الربّ إلهنا رب واحد» إلى حين لفظ أنفاسه. وتكتفّ خيار الموت الإرادي مع الحقبة المكابية، خلال القرن الثاني قبل الميلاد، في صراع يهوذا المكابي ابن الربّي ماتاتيا الحشموني ضد



والدفاع عن بيضة الإسلام ورسالته، وحماية المسلمين في أرض إسلامية.

ليلاحظ الباحث انزياح الموقف العام في الوقت الراهن صوب الرفض الأخلاقي للعمليات. فقد حاول بعض الفقهاء وضع ضوابط لهذه الممارسات حتى لا تتحول إلى ممارسات فوضوية. حيث كتب الشيخ الراحل محمد مهدي شمس الدين «فقه العنف المسلح في الإسلام» سنة ٢٠٠١، في محاولة لضبط قواعد هذه الممارسة وبيان الحكم الشرعي فيها، بعد أن لاحظ التوظيف المضطرب للمخزون التراثي، حتى غدت كربلاء، في الأوساط الشيعية، عنصراً محورياً في البنيون الثوري للشيعية المعاصرة. وقد برز الجدل بشأن العمليات الاستشهادية في البلاد الإسلامية، خصوصاً بعد نشأة الجماعات المستقلة بمرجعياتها في الفتوى؛ مما جعل العمليات الاستشهادية تشكل خطراً على الأمن العام والسلم الاجتماعية لبعض البلدان العربية والإسلامية؛ إذ ما بقيت الدولة محتكرة إضفاء المشروعية على ممارسة العنف وحدها، في ظل الهشاشة الأمنية في بعض المناطق، بل زاحمتها الحركات المنفلتة، ما جعل المؤمن عرضة لصراع التأويلات القائم بين الطرفين بشأن العمليات الاستشهادية. وما عمليات الاستقطاب إلى صفوف تنظيم داعش والالتحاق به سوى دليل واضح على عمق صراع التأويلات الذي لم يحسم بعد، ليبقى التحمس للاستشهاد الإرادي قوياً داخل أوساط سلفية مثل تنظيم داعش.

لعل الانتقاد الأساسي الموجه للبحث في تجنب صاحبه الغوص في ملامسة المثيرات الحقيقية لظاهرة الاستشهاد في الواقع العربي الحديث، الذي يزرع تحت فواعل مباشرة تتمثل أساساً في الاحتلال الإسرائيلي. إذ ليست الظاهرة بمنأى عن مؤداتها، فهناك انفصال بين رصد الظاهرة فينولوجياً وتغيب عوامل منشئها سوسولوجياً في الكتاب. غياب ذلك الغوص في تحليل منشأ الظاهرة وتشكلها، والاقتصار على رصد آثار تنفيذها وما تخلفه من مواقف متباينة، يطرح أحياناً مصادقية البحث العلمي وموضوعيته في دراسة التوترات الحاصلة في عالمنا. سيما وأن هذا البحث وغيره يأتي مدعوماً مادياً ودعائياً من قبل جهات مثل الجهة الداعمة والتمويل للبحث «المؤسسة الإسرائيلية للعلم (ISF)» كما يصرح الباحث في مقدمة بحثه.

- الكتاب: «الشهيد في الإسلام الحديث.. الورع والسياسة والسلطة».

- تأليف: مائير هاتينا.

- الناشر: منشورات أوبارو (ميلانو) باللغة الإيطالية، ٢٠١٦.

- عدد الصفحات: ٤٠٠ صفحة.

* أستاذ تونسي بجامعة روما



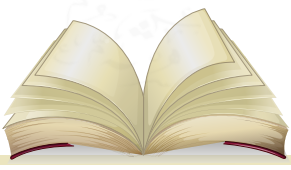
هاتينا مثلاً، لقيت بعض الأعمال الاستشهادية في الساحة الفلسطينية قبولاً أيضاً لدى التنظيمات الثورية العلمانية (الجهة الشعبية، والجهة الشعبية القيادة العامة، والجهة الديمقراطية). ولكن ما حصل من تحول لافقت مع موضوع الاستشهاد الإرادي، وفق الباحث، قد جاء مع تنظيم القاعدة. والمتمثل في التوجه بعمل الشهادة، ليس إلى العدو الخارجي البعيد فحسب، أو العدو المضطهد والمحتل لأراضي المسلمين، بل إلى حلفائه في الداخل من المسلمين، وهو ما أعطى غطاءً شرعياً للعمليات داخل بلاد الإسلام بشكل لم يكن معهوداً. ناهيك عن عدم مراعاة أخلاقيات الجهاد بالمفهوم المتعارف عليه في الإسلام، حيث يحيل الباحث على فتوى لبن لادن (١٩٨٨) ينفي بموجبها وجود أبرياء مدنيين، كون الجميع مندرجين في آلية تنتهي إلى دائرة دار الحرب (ص: ٢٢٢). وبموجب تلك المغالاة اللافقة، حوّل تنظيم القاعدة فعل الشهادة إلى رسالة دعائية صادمة، من خلال استغلال وسائل الإعلام الحديثة وترويج تسجيلات مثيرة ذات وقع عالمي.

وتحت عنوان «صراع التأويلات بشأن العمليات الاستشهادية»، يتناول الباحث الجدل الحاصل في الأوساط الإسلامية حول جواز التضحية بالذات من عدمه. مستهلاً حديثه بمحاولة الإمساك بخيوط التبرير الفقهي من عدمه بخصوص العمليات الاستشهادية، دون غوص مضطرب في تعليقات الضوابط الفقهية. حيث ينطلق من بعض المواقف الفقهية الكلاسيكية مثل موقف ابن رشد (ت. ١١٩٨م) وشروط الشهادة والمشاركة في الجهاد لديه مثل السن والوضع الأسري ومدى الخطورة المحدقة، بناءً على أن المؤمن لا يلقي بنفسه إلى التهلكة حين يلاحظ الفارق البين مع الخصم. كما يذكر في السياق نفسه موقف حديثاً لشيخ الأزهر محمود شلتوت (ت. ١٩٦٣) في حصره واجب الجهاد في ثلاث حالات: رد الاعتداء،

الفصل التمهيدي أن الديانات «المسالمة» أيضاً، مثل البوذية والشتوية لم تدخر جهداً في توظيف سلاح الموت الإرادي؛ إذ يمكن أن نجد ذلك حاضراً في تراث الساموراي، وهو ما برز جلياً إبان مشاركة اليابان في الحرب العالمية الثانية، أو في حرب فيتنام في ستينيات القرن الماضي احتجاجاً على الاحتلال الأمريكي.

القسم الثاني من الكتاب وهو ما حاز الجانب الأكبر، تركّز على جوهر البحث، أي تناول أبعاد المسألة في الواقع الإسلامي المعاصر؛ حيث يعتبر الباحث أن التنشئة الاجتماعية، والشحن الثقالي المتأتي من الجماعة التي تعضد الشهيد في السير لتحقيق هدفه المنشود، والاستعداد الإرادي للتضحية بذاته وبلوغ مبتغاه، كل تلك العوامل تضافرت معاً في صنع المنفذ. لعل الكاتب الإسرائيلي هنا يوجه اتهاماً مبطناً للحضنة الجماعية بقوله، وبما يبرر تسليط العقوبة الجماعية ضد الفلسطينيين (ص: ١١٧-١٢٣). ويعتبر مائير هاتينا أن الشهيد يبقى فاعلاً ومؤثراً بعد مماته، من خلال الرصيد المعنوي الذي يخلفه بين ذويه وأهليه وبين أفراد تنظيمه الحزبي. «فهو وسيلة فاعلة في توحيد الآراء وتعزيز أواصر الوحدة. وبمقدور الشهداء توحيد جماعاتهم، من خلال رص صفوفها وعضد مقاومتها» (ص: ١٧٠). حيث يقدر الباحث أن ثمة أثراً سياسياً للشهيد في توحيد الصفوف يتخطى دائرة الحزب والتنظيم إلى العائلات السياسية المتخاصمة. كما يسهم استشهاداه في تيسير استقطاب آخرين لتكرار الفعلة. وهو ما تقابله الجماعة الحاضنة بإضفاء صورة ميثولوجية على الشهيد ذات أبعاد رمزية عالية، بما يثير حماسة عميقة في أوساطها. يقول عالم الاجتماع رونالد كاسيمار: «ليس الشهداء صنعة قناعات وأفعال ذاتية فحسب، بل هم نتاج من رأوهم وذكروهم عبر رواية تاريخهم أيضاً».

وفي محور آخر ضمن هذا القسم، يعالج الكاتب الظاهرة في الواقع الراهن، مبرزاً ما طرأ من تحول جذري على العمليات الاستشهادية بين أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين. فعلى سبيل المثال ما شرعنته الثورة الإسلامية الإيرانية في بداية سنوات الغليان الثوري بشأن دور الشهيد وفلسفة الشهادة (وهو ما تجلى في سرديات المفكرين الشهيديين مرتضى مطهري وعلي شريعتي) باتت تتبناه الدولة، ما توجّه الأمر للعدو الخارجي المضطهد للمسلمين والمغتصب لأراضيهم (في لبنان، وفلسطين، وأفغانستان، وكشمير، والشيشان) بوصفه سلاح المستضعفين ضد المستكبرين حين تضيق السبل. وإضفاء الشرعية على فعل الشهادة، تحت مبرر التخلص من نير الاحتلال والدفاع عن الذات، راج حتى غداً منشوداً لدى تنظيمات تبنت العمل المسلح ضد المحتل، وإن كانت منطلقاتها علمانية أو لادينية. فعلى ما يذكر الباحث مائير



«أسرار طريق الحرير القديم في تركستان الشرقية».. لعبداللهات كخاروف

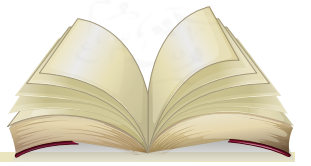
أحمد الربحي *

ليس من شك في المكانة التي يحتلها طريق الحرير بين إنجازات الحضارة الإنسانية، هذا الطريق الذي ألف بين بلدان العالم وقاراته. فبشبكة خطوطه التجارية الصغيرة والكثيرة، ربط الشعوب القديمة وعقد الأواصر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية فيما بينها. وعلى الرغم من الاكتشافات الجغرافية الكبرى في البحار والمحيطات، تلك التي اقتحمت العالم وفتحت أمام الإنسان آفاقا جديدة للتجارة والتنقل، والتي أسفرت - في نهاية المطاف - عن إهمال طريق الحرير العظيم، بدءا من القرن الخامس عشر وطيلة خمسة قرون تالية، إلا أن العلماء ما لبثوا أن عادوا إليه ثانية، وشرعوا يهتمون به: يستوعبونه بالدراسة ويحيطونه بالنقاش وذلك لما يعتقدون فيه من أهمية تاريخية وثقافية للحضارة الحديثة. وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر بداية مثلى لدراسة منهجية لهذه الظاهرة (طريق الحرير) التي تركت أثرا كبيرا على الحياة الحضارية في كوكبنا.

معرفة جغرافية جيدة بتركستان الشرقية، أما معرفتهم بحال الأهالي والبنية الاجتماعية والثقافة والاثنوغرافية فكانت غامضة وكثيرا ما تفقر إلى البحث الميداني (...). وقد أدت محدودية مهامهم تلك إلى أنه وفي لحظة تاريخية معينة، فشلت محاولة بريطانيا الجادة لاستخدام تركستان الشرقية لتحقيق أهدافها الاستراتيجية» (ص 110-111). وبالنسبة لروسيا يلاحظ الباحث أنها كانت ترسل الخبراء العسكريين جنبا إلى جنب المستشرقين وعلماء من مختلف الاختصاصات كالجغرافيين والمؤرخين واللغويين والخبراء في تصنيف الحيوانات. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكثير من أولئك الرحالة والباحثين أصبحوا أشخاصا بارزين ولعبوا دورا في التاريخ الروسي، من بينهم وزير الحرب في الإمبراطورية الروسية لافر كورنيولوف والرئيس المقبل لفنلندا بعد أن نالت استقلالها من روسيا عام 1917 كارل جوستاف مانراهيم، والفنان والفيلسوف الصوي المشهور نيكولاي ريريخ. وبفضل هذه المقاربة تمكنت روسيا طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين من جمع مواد أثرية وعدد كبير من الأعمال الفنية والأدبية الأويغورية ومن الشروع في العمل المعمق على دراستها فأصبحت سباقة في مجال الدراسات الأويغورية. كرس المؤلف فصولا من كتابه للمدن الميتة في طريق الحرير العظيم، كما قدم تصورات مفصلة لإعادة إحيائها. من جهة أخرى يصور حياة المدن الأويغورية التاريخية كمدينة كاشغر التي يقدر عمرها بألفين وسبعمئة عام والتي مثلت في القرون الوسطى مركزا

صفحات العمل، إذ لا سبيل للكاتب من تلبية نداء الدم وأصوات الأسلاف التي ترتفع من سهول آسيا الوسطى وأراضيها الشاسعة. من الصفحة الأولى يقوم الكاتب باصطحاب قارئه في رحلة مثيرة وموحية عبر السهول والتلال والمدن التاريخية والواحات والصحاري لأراضي الأويغور التي ضمت عام 1759 إلى امبراطورية منشوريا ضمن إقليم سنجان، ومن ثم في عام 1905 تحولت المنطقة الأويغورية لإدارة حكم ذاتي في إطار الجمهورية الصينية بمساحة تقدر بمليون وستين ألف كيلو متر مربع أي ما يعادل سدس مساحة الصين الحديثة. وإضافة إلى التمهيص الدقيق للبعثات العلمية ذات الأهمية إلى منطقة الأويغور والإحاطة بنتائجها، يعرض الكاتب التمايز الذي وسم تلك البعثات مختلفة الجنسيات، ويناقش النهج والأهداف والمبادئ التي انطلقت منها، لاسيما البعثات الغربية والروسية المختصة بالدراسات الشرقية. ووفقا للمؤلف فإن الغالبية العظمى من البعثات الأوروبية إلى آسيا الوسطى تنصف بمحدودية الأهداف وضيق الأفق. وكانت تنبني على أساس استخباراتي عسكري وبتوجهات سياسية. وكما يذكر الباحث فإن «هذه السمة التي وسمت الرحالة والباحثين الإنجليز أثرت سلبيا على اكتمال دراسة تركستان الشرقية من قبلهم» ويضيف قائلا: «لقد كانت مهام الرحالة تقتصر على أهداف محددة، وتبعاً لذلك تحجمت لديهم المادة الإخبارية التي كان من الممكن أن تتأسس عليها معرفة تحليلية تشمل المنطقة بأسرها. مثالا على ذلك كان للإنجليز

مؤلف الكتاب الذي بين أيدينا، الدكتور عبداللهات كخاروف، خبير في الدراسات التاريخية، تلقى تعليمه في روسيا وحصل على الدكتوراه في علم الاجتماع. وبكونه ينتمي إلى العرقية الإويغورية فقد انكب في السنوات الأخيرة على البحث في المسائل المتعلقة بتاريخ الشعوب التركية عامة والشعب الإويغوري بوجه الخصوص. وبذلك أصبح الدكتور كخاروف أول عالم من آسيا الوسطى مختص بتاريخ قومه بعد مائة سنة مرت على البعثات الأوروبية والروسية (1814-1914) التي اشتغلت على تنقيب الأثرية الأويغورية القديمة في طريق الحرير وتسجيل الحقائق التاريخية لهذه البلاد الغامضة. ولم يتوقف اجتهاد المؤلف في كتابه هذا على تجميع وتفسير الحقائق التاريخية والاثنولوجية والأثرية حول طريق الحرير، أو لوصف إنجازات جل البعثات والدراسات العلمية للعلماء والرحالة الروس والبريطانيين والفرنسيين والألمان والفلندين واليابانيين وآخرين من جنسيات أخرى، أو لإخبارنا عن أهمية الظواهر الثقافية المادية للبشرية التي كانت لها صلة بطريق الحرير، بل اجتهد كذلك لكشف ما يمكن تسميته بمجمع أسرار الطريق الذي يحتوي فيما يحتويه مئات المومياءات الطبيعية ذات الملامح الأوروبية التي احتفظت بها ثاني أكبر صحراء في العالم بعد الربع الخالي، صحراء تكلامكان. كما شارك المؤلف القراء انطباعاته العميقة عن حضارة الأويغور القديمة والحديثة على حد سواء. وعلى الرغم من طابعه العلمي، إلا أن نبرة التعاطف مع القوم الأويغوري لا تكف عن الظهور في مجمل



ويتحدث المؤلف عن دور الصين تجاه الشعب الأويغوري باعتباره دورا سلبيا. فمن نسج حديثه عموما نجد خيطا لَوَامًا للصين ومعارضاً لتوجهها حيال هذا الشعب وقضاياها. فلنستمع إليه في هذا المقطع من الكتاب: «إن أي ذكر لاستقلال تاريخ أو ثقافة الأويغور يلاقي معارضة من حكم النظام الشيوعي في الصين. كما يُحظر عليهم ذكر اسم وطنهم التاريخي والعرق «إويغوريا». وكل ما يتعلق بقضية الأويغور في الصين يخضع للرقابة الأيديولوجية الصارمة من قبل الهيئات الخاصة للدولة الصينية. كما تم إلصاق تسمية «سنجان» بطريقة قسرية لوصف المجتمع الأويغوري. ويقابل بالعزل والتهميش كل من يأتي على ذكر العرقية والخصوصية الأويغورية أو يلهج بتسمية «تركستان الشرقية» أو «أويغورستان» أو يكشف عن وقائع التعدي على الحقوق الوطنية للأويغوريين في الصين» (ص ٣٥). وبحسب الباحث فكل هذا التطويق والحصار على الهوية الإويغورية يشكل عقبة كأداء أمام الدراسات التاريخية وتعيين الدور المفتاحي الذي لعبته المدن الإويغورية في تشكل طريق الحرير سواء في العصور القديمة أو القرون الوسطى، ناهيك عن معاقبة هذا التاريخ وتهديد حضارة بأكملها بالنسيان المطلق».

ويخلص الباحث من كتابه إلى أن الكنوز الإويغورية، الأثرية والثقافية ما تزال مغمورة تحت طبقات من التراب، وأن بقايا الحضارات القديمة هذه يمكنها أن تظل خارج مجال رؤية وعمل الباحثين المختصين، مرة وإلى الأبد. يقول في هذا الصدد: «المدن القديمة والواحات والتقاليد تختفي تدريجياً وتظهر في مكانها أبنية إسمنتية متشابهة حديثة الطراز. أما التراث الثقافي الإويغوري وما يزره من ألوان نادرة ومتنوعة، التراث الذي تراكم عبر العصور القديمة والوسطى فيتم تكييفه - بلا هوادة - حسب مقاسات اليوم، وهو ما ينطبق على الديانات القديمة التي يُنظر إليها كمخلفات من الماضي» (ص ٨). ومع ذلك لا يتخلى الكاتب عن الاعتقاد بأن قوة الشخصية الإويغورية ستكفل لهم المستقبل الذي ينشدونه.

الكتاب: «أسرار طريق الحرير القديم في تركستان الشرقية».

المؤلف: عبداللاهات كخاروف.

الناشر: دار نشر «فيتشي» موسكو ٢٠١٧.

اللغة: الروسية.

عدد الصفحات: ٤٠٠ صفحة.

* كاتب عماني



أقصى ضواحي الخلافة إلى المراكز الأخرى أو من المناطق الوسطى إلى الأطراف. وخلال هذه الفترة تم تعزيز العلاقات التجارية والثقافية على طول طريق الحرير وكذلك تم دمج مداره بين كل من منطقة الفولغا الروسية وبعض بلاد أفريقيا» (ص ٢٣).

ويكرس كخاروف فصلاً مستقلاً من كتابه لانطباعاته عن زيارته للمملكة العربية السعودية ولقاءاته هناك بشخصيات من ذوي أصول أويغورية. يقول واصفاً زيارته: «تعجبت كثيراً من وجود أشخاص من أبناء جلدتي مستقرون في المملكة العربية السعودية. لقد جاء هؤلاء إلى الأماكن المقدسة في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي لأسباب مختلفة. في البداية عملوا بلا كلل في الخياطة وزاولوا تجارة صغيرة واشتغلوا في الخبازة وغيرها من الحرف. وأصبح العرب يعرفونهم باسم «تركستاني» أو «بخاري» تيمناً باسم الباحث اللاهوتي الإسلامي العظيم وجامع الحديث النبوي الإمام البخاري وهو أحد أبناء آسيا الوسطى. واكتسب أبناء تركستان سمعة محترمة بين الناس بما يتمتعون به من صدق وخفة دم، وفي وقت لاحق أصبحوا من مواطني هذا البلد (...). وأصاب العديد منهم مكانة وشهرة في المجتمع السعودي، فها هو عبد القادر تاي من ملاك المصانع، وعبد القادر طاش رئيس تحرير صحيفة المسلم، ورحمة الله تركستاني رئيس قسم في هيئة التعليم، والطبيب نور محمد يرقندي رئيس المستشفى العام في مكة المكرمة، ومحمد يوسف كاتب وشاعر معروف والكثيرون غيرهم (...). يعملون في مختلف المجالات، في إدارة البنوك وشركات القطاع الخاص ومختلف المؤسسات، لكنهم وللأسف الشديد يجهلون لغة وعادات وتقاليد أسلافهم» (ص ١٢-١١).

إسلامياً إيوغوريا يشع بالعلم والثقافة، وتشتهر بمدارسها التي فتحت أبوابها على مدى قرون لتعلم اللغة العربية والقرآن الكريم، وعُرفت المدينة أيضاً بالأضرحة ومنها ضريح ستوق بغرا خان حاكم الإمبراطورية القراخانية الذي اعتنق الإسلام عام تسعمائة وعشرين ميلادية بتأثير من صديقه الأمير الساماني أبي نصر، ومنها ضريح العالم اللغوي محمود الكاشغري صاحب أول دراسة مقارنة للغات التركية «ديوان لغات الترك» التي أكملها في بغداد حوالي عام ١٠٧٢م، وقد قام بإهداء إنجازه هذا لنجل الخليفة العباسي المقتدي بأمرالله. ويعرض المؤلف وصفاً للآثار المتبقية في المدينة منها حديقة «توربان» بكرومها الضخمة ونظام قنوات الري المحفور تحت الأرض لحماية المياه الجليدية من حرارة الشمس القوية. ففي طقس المنطقة شديد الحرارة يتبخر الماء على سطح الأرض بسرعة قياسية. ويزور المسلمون في هذه المدينة كهفاً لولّي يمّني جاء للدعوة إلى الإسلام في هذه البقاع. ويستعيد المؤلف قصة العابد اليمّني حيث يقول: «استقبله البوذيون بمقاومة عنيفة ومارسوا الاضهاد في حقه. وبحسب الحكاية المحلية فقد لجأ الولّي اليمّني إلى الكهف هرباً من مضطهديه وهناك قرأ تعويذة خاصة. وعندما تبعه البوذيون لم يجدوا أحداً في الكهف. وقد ظل اختفاؤه من الكهف المغلق لغزاً حتى اليوم، كما أنّ الناس عكفت على زيارة الكهف على أمل أن يظهر لهم الولّي اليمّني من جديد» (ص ٣٦٧).

ويشدد المؤلف في كتابه على مساهمة العرب المباشرة وغير المباشرة في تطوير طريق الحرير ويصفها بالإيجابية إجمالاً والمفيدة للمنطقة. وحسب الباحث فإن الدور العربي في طريق الحرير يتكثف بدءاً من الفتوحات العربية في آسيا الوسطى وحتى غزو المغول. ويكتب في هذه السياق: «إنّ التحول الجذري في تاريخ طريق الحرير العظيم وانطلاقته الجديدة كان متعلقاً بالأوضاع السياسية وتغيراتها في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وبالخصوص ما تعلق بالفتوحات العربية وتثبيت الخلافتين العربيتين الأموية والعباسية. إن الفتوحات العربية في آسيا الوسطى التي استمرت من منتصف القرن السادس وحتى النصف الثاني من القرن الثامن، ومعركة العرب مع الصينيين في عام ٧٥١م في وادي تالاس، ترتب عنه أفول الهيمنة الصينية في المنطقة، ووضع حد لتدخل الصينيين العميق في هذه الأراضي (...). وأسهم (الوجود العربي) في إنشاء دولة مركزية مع نظام موحد للحكم والضرائب والتعريفات الجمركية الموحدة وفي مزيد من تطوير طرق التجارة (...). كما تيسر نقل السلع والبضائع من



«تغيير واحد بالمائة فحسب كفيلاً بأن تختلف الحياة!.. للي مين كيو»

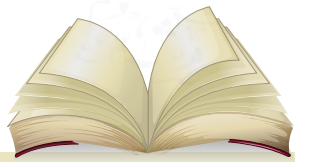
د. محمود عبد الغفار *

يعرف الذين عاشوا أو درسوا في كوريا أن الخط الدائري العريض حول الرقم واحد بالمائة هو علامة «صح» التي يضعها المعلمون والمدرسون عندما يصححون أوراق الطلاب، وبالتالي فكأننا أمام غلاف وضعت عليه علامة «صح» التي احتوت داخلها معنى جملة العنوان بشكل حريف. هذا التصميم يوحي للوهلة الأولى بالعلاقة بين الكتاب والتعليم والمتعلمين كما أنه يمنح القارئ الكوري نوعاً من الثقة في المحتوى؛ تلك الثقة المستمدة من المخزون الذهني الطيب لتلك العلامة الدائرية التي أشرنا إليها من قبل. أما عن الجملة التي وضعت بضغط طباعي صغير أعلى العنوان فهي جملة تشويقية لأنها تشير إلى وجود خمسة وعشرين مشروعاً لتطوير الذات بين دفتي الكتاب. لقد حقق هذا الكتاب مبيعات تجاوزت المليون نسخة وبالتالي كان على قائمة الأكثر مبيعاً عند طباعته في المرة الأولى، ومن ثم أعيد طبعه من جديد عام ٢٠١٦ م لأنه أصبح بمثابة الدليل الإرشادي لكل الذين يعانون من مشكلات في التواصل والاتصال، كما رشحه معهد مؤسسة سامسونغ للدراسات والبحوث الاقتصادية ليكون أحد الكتب الإرشادية المهمة لوزارة الثقافة والإرشاد السياحي. الغلاف يشير كذلك إلى أن الكتاب يتضمن النصائح الجديدة للأستاذ الأكاديمي لي مين كيو؛ الأمر الذي يعني أنه شخصية معروفة ولها مكانتها المرموقة لدى القراء في بلده.

بمعهد جامعة «سول» الوطنية. وترأس مركز جامعة «أجو» للدراسات النفسية. حصل على جائزة أفضل معلم بجامعة «أجو» عام ٢٠٠١ م، كما تم اختياره ضمن أفضل خمسة وعشرين كاتباً كبيراً في كوريا الجنوبية على هامش الاحتفال بمرور ثلاثين عاماً على إنشاء مؤسسة «كيوبو» العريقة للنشر والتوزيع عام ٢٠٠١ م. من مؤلفاته الأخرى: «عندما تفكر بطريقة مختلفة سيكون العالم مختلفاً» عام ١٩٩٦ م، ذلك الكتاب الذي سهل أو بسط فيه المعرفة السيكلوجية لدى عامة الناس. بعد ذلك نشر كتاب «حلمك وسعادتك تم إقرارهما في سن المراهقة»، وقد اعتمد فيه على رسائل البريد الإلكتروني المتعددة التي جمعها وحللها لكي يساعد ابنه المراهق في تحديد أهدافه وتحقيقها. في عام ٢٠١٤ م نشر كتاباً بعنوان «لا بأس أن تبدأ الآن»، وهو الكتاب الذي لاقى صدى واسعاً بين المعلمين وأولياء الأمور ومن في سن المراهقة، كما أنه يعد كتاباً تشجيعياً لتلاميذ المرحلة الإعدادية وللمراهقين كذلك. أحد أهم كتبه بعنوان «الممارسة هي الحل»، ذلك الكتاب الذي ركز فيه على مفهوم الممارسة لدى أولئك الذين يحسنون التخطيط لكن تنقصهم إرادة الفعل. فضلاً عن أنه واحد من الكتب المفضلة لدى القراء الأجانب عندما تُرجم ونُشر في اليابان وتايوان وتايلند. في القسم الأول من هذا الكتاب يتناول المؤلف

أخرى، فكل نقطة أساسية تناولها المؤلف ارتكزت على عنصرين أساسيين يقومان على تأمل التفكير ونماذج السلوك بحيث تتحرك الحياة نحو اتجاهات مختلفة؛ اتجاهات يريد المراء بعد أن قام بتحليل الأسباب والدوافع التي مكنته من بلوغ ما أراد. ومن هذه الزاوية فحسب يمكن للمرء أن يعيد تطوير ذاته نحو حياة أبسط وأكثر نجاحاً في بعدها الواقعي بتفاصيله اليومية المعيشة. أما أكثر الجمل التي يركز عليها الكتاب كله فهي أنه ليس من الضروري القيام بتغييرات كبيرة لأجل بلوغ حياة بسيطة ومستقرة وناجحة، فواحد بالمائة فحسب يعد تغييراً كافياً للتأثير في حياة الناس بشكل إيجابي ملموس. المؤلف «لي مين كيو» عالم نفس وأستاذ أكاديمي بجامعة «أجو» بكوريا الجنوبية، وهو مشهور بأنه «عالم النفس الفذ صاحب نسبة الواحد بالمائة»، لأنه نشر الكثير من الوعي السيكلوجي بشكل مبسط بين عامة الناس، وأقنعهم بأن تغييراً ولو بنسبة واحد بالمائة فحسب كفيلاً بأن يجلب النجاح ويحقق نوعاً من السعادة. تخرج «لي مين كيو» في قسم التعليم الخاص بجامعة دنكوك، ثم حصل على الماجستير ثم الدكتوراه من قسم علم النفس العلاجي بجامعة سول الوطنية. وقد خدم في أهم المكاتب الحكومية المشرفة على اختيار الطيارين سلاح الجو الكوري، كما عمل مستشاراً للطلاب

في مقدمة الكتاب تأكيد من جانب المؤلف على أن نسبة «واحد بالمائة» تعد كافية لكي تُحدث أثراً في تغيير الحياة بشكل ملموس. يتحقق هذا التأكيد عبر الكشف عن سبل التدريب أو التدريس نحو توجيه الحياة وجهة أفضل ولو عبر تغييرات صغيرة. يغطي الكتاب ستة موضوعات وخمسة وعشرين تفصيلاً أو نقطة محورية على نحو ما أشار غلافه، مثل تحديد الأهداف والتخطيط نحو الارتقاء نحو الأفضل، والتعرف على المواهب والقدرات الخاصة وتطويرها بعد التعرف عليها واكتشافها. التأثير الفعال هنا يتيح الوقت ويمكن كذلك من السيطرة عليه، وذلك من منظور أن التحكم في الذات واكتشاف الوقت المهدر هو العنصر الأول والأهم في حياة كل إنسان. يتضمن الكتاب كذلك عدداً من النصائح من قبيل «تعلم شيئاً واحداً واستخدم عشرة طرق وعش بيساطة»، و«قدم الهدية المناسبة لمن يقدم لك معروفاً»، و«لا ترهن عينيك على الهدف طالما كانت الطرق مسدودة وأنفق وقتك وجهدك في هذه الحالة بحثاً عن سبيل أو وسيلة أخرى»، و«تعلم فن إيجاد البدائل التي تقود نحو تصحيح المسار وتعديل أو تغيير العادات السلبية التي يجب أن تُلغى بعيداً». هذا الفن وتلك المهارة من أهم ما ينبغي على المرء التمتع به لكي ينجح في حياته. «عندما تغير أفكارك يُمكن للدراسة أن تصبح أكثر إمتاعاً». من ناحية



كذلك سوف يدفعون الثمن. «استمتع بما تدخر يوفر الوقت»؛ بإمكان المرء أن يرمي بقطعة قطن احتياطية لكنه لا يستطيع أن يرمي وقت الفراغ لأن الوقت مع الأسف محدد بأربع وعشرين ساعة في اليوم الواحد لكل البشر بغض النظر عن تمايزهم، فالوقت تحديداً مختلف في حياتنا عن أي شيء آخر. ولهذا فالحكماء لا ينفقون وقتهم بالتساوي على كل من حولهم، وذلك لأنهم يعرفون أن قيمة الوقت بل وقيمة الحياة نفسها قد حددها قلة من الناس وليس كل الناس. «عش ببساطة»؛ مفتاح النجاح بسيط جداً. فلو أردت أن تدير شركة بنجاح عليك أن تركز على المجال الأساسي الذي ستعمل فيه تلك الشركة. فأعظم الشركات في العالم غالباً ما تكون شركات بسيطة.

القسم الأخير من الكتاب بعنوان «السيطرة على الذات والتحكم فيها سبيلان لأن يتحكم المرء في حياته ويسيطر عليها». ويغطي هذا القسم النقاط التالية: إن نجح المرء في تغيير نفسه سيتغير العالم من حوله. يستطيع المرء أن يقوم وحده بأشياء صغيرة ولكنه في جماعة يستطيع القيام بأشياء كبيرة جداً. النقد شيء بالغ الأهمية لكنه مخيف ومزعج ومع كل ذلك على أولياء الأمور والمعلمين والمسؤولين القيام به، فمن الصعب جداً مهما بذل المرء من جهد لجعل النقد معروفاً أو خدمة يتم استقباله كما لو كان هجوماً شخصياً، أو باعتباره نقضاً إن جاز التعبير. «اعتذر أولاً»؛ يمكن للمرء أن يتجنب الكثير من المواقف والمشكلات التي تزداد تعقيداً باعترافه بالخطأ. فترك الغضب كامناً دون اعتذار قد يؤدي لنتائج في غاية الخطورة. «لو اشتري ابن عمك قطعة أرض، عليك أن تدعوه إلى الغداء على حسابك»؛ فالحسد والغضب لا يؤدي الآخرين؛ إنه يؤدي صاحبه فحسب. «النهاية عادة مجرد بداية جديدة»؛ فعلى المرء أن يتطلع دائماً نحو بداية جديدة عقب النهايات، لا أن يظل هناك باستمرار عند مهمة أو أمر يعلم أنه قد انتهى.

الكتاب: «تغيير واحد بالمائة فحسب كفيلاً بأن تختلف الحياة».

المؤلف: لي مين كيو.

الناشر: دونان للنشر - 2016.

اللغة: الكورية.

عدد الصفحات: 296.

* مدرس الأدب الحديث والمقارن بكلية الآداب- جامعة القاهرة

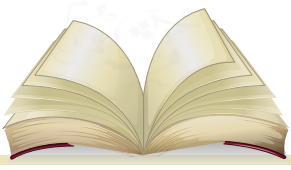


فالعامل الشاق قد لا يكون مصحوباً بأهداف واضحة أو خطط معينة ومع ذلك فإنه يقود إلى الوصول إلى المراد. وتحت عنوان بالغ الأهمية لأنه يتعلق بمسألة شديدة الحساسية في كل الثقافات تقريباً يقول «ليس هناك تقييم أفضل من النقد» يرى أن الذين يتحاشون النقد ويمقتونه ولا يفسحون له المجال في حياتهم لن يتمكنوا مطلقاً من تطوير إمكانياتهم. وسيعود في القسم الأخير من الكتاب للحديث مرة ثانية عن هذه المسألة. ثم ينتقل إلى النقطة التالية قائلاً «اعمل أقل تحصل على ما هو أكثر». فبعض الناس مع الأسف لا يحققون أي شيء لأنهم يضيعون أوقاتهم في البحث عن إجابات أو حلول لمشكلات لا تعنيهم في شيء. ثم يختتم هذا القسم بنصيحة مفادها «تعلم شيئاً واحداً واستخدمه في عشرة أشياء».

القسم الثالث من الكتاب بعنوان «ابحث عن الوقت المهدر.. جد الوقت وتحكم فيه». ويغطي هذا الفصل عدداً من النقاط أو نقل النصائح الأساسية التالية: «إن عجزت عن تنظيم وقتك فشلت بالضرورة في تنظيم حياتك». فحتى الأسطورة بل جيتس وونستون تشرشل لديهم أربع وعشرون ساعة مثلنا، لكنهما أحسنا استغلال الوقت حتى أصبحا شخصين غير عاديين. «إذا نظرت لتأمل يومك المنقضي فسيكون غدك مختلفاً»؛ ولهذا إن أردت أن تتحكم في وقتك عليك أن تتعرف على طبيعة استغلالك للوقت. «قم بالأشياء المهمة أولاً»؛ الناجحون يقومون عادة بإنجاز الأشياء التي لا يرغب الفاشلون في القيام بها. بالمناسبة، هم أيضاً لا يرغبون في القيام بها ولكنهم يطمحون في تحقيق أهدافهم. «ابدأ الآن وهنا»؛ إن الذين يؤجلون الأشياء المهمة إلى وقت لاحق، ويؤجلون ما يرغبون في فعله إلى وقت لاحق

مسألة التخطيط ووضع الأهداف لأجل الارتقاء. ويبدأ هذا القسم بعبارة مفتاحية مفادها «إنه ليس متأخراً أبداً أن تبدأ». إنها مقولة أو حقيقة يتبناها بالفعل لكن هذا لا يعني أنه يوافق على ما يردده أولياء الأمور بشأن رغبتهم في العودة إلى الدراسة من جديد، فهو يرى أن هذه العبارة مجرد حث لأبنائهم على الاجتهاد في الدراسة فحسب. وتحت عنوان «الشخص الناجح ليس من مكان مختلف عن مكاننا». يذكر المؤلف أن الذين يرون أنفسهم غير موهوبين هم في الغالب لم يحاولوا بالقدر الكافي أن يتعرفوا على ما لديهم من قدرات. ثم يضيف «قبل أن تعقد العزم على الانطلاق عليك أن تحدد الوجهة أولاً». إن كل أولياء الأمور يتمنون أن يعيش أولادهم حياة أفضل من التي عاشوها هم لأنهم يعرفون حقيقة أنه عند وضوح الهدف تصبح الدوافع أقوى، وعندما تصبح الدوافع أقوى تتزايد احتمالات تحقق الهدف. وتحت عنوان «ليس هناك شجرة يستحيل تسلقها»، يرى أن كثيراً من الناس يعتقدون أن الفشل هو المقابل للنجاح، وهذا أمر غير محمود لأن الفشل ليس عكس النجاح كما أنه ليس أمراً سيئاً. فالنجاح والفشل يخرجان من رحم واحد. ثم تحت عنوان «الطموحات العظيمة تحتاج إلى أهداف محددة»، يرى أن الكثيرين يعتقدون أن الأهداف يجب أن تكون عظيمة من أجل أن تتحقق طموحات عظيمة ولذلك يعجزون عن وضع أهدافهم وبالتالي يفشلون في تحقيقها. إن المرء لا يحتاج إلى طموحات عظيمة، إنه في حاجة إلى أهداف مهمة ولو مرتكزة على تفاصيل بسيطة. الأهم هنا التعرف على الأهداف وتحديدها بدقة. ويختتم هذا القسم بأن الذين لا يقدرون على تحقيق مخططاتهم عليهم أن يقوموا بتجهيز وإعداد قويين.

القسم الثاني بعنوان «التعرف على الإمكانيات الكامنة داخل المرء، واكتشاف القدرات والمواهب وتطويرها». يبدأ هذا القسم بقوله «لا تتحدث مطلقاً عن نفسك بنبرة شفقة». فالنظر إلى الناحية المظلمة باستمرار تجعل المرء بائساً ولا تساعد على إضاءة العالم من حوله. هناك شرط يجعل من وجهة النظر السلبية نقطة قوة فعالة وإيجابية، وهي أنها يمكن أن تقوده لاكتشاف الجانب الإيجابي الكامن داخله. وتحت عنوان «انتقل مما يجب عليك فعله إلى ما ترغب في فعله»؛ يشير المؤلف إلى أن البالغين عادة ما يقضون قرابة خمسة وسبعين بالمائة من وقتهم في أنشطة تتعلق بما يقومون به من عمل لا بما يرغبون في فعله، وهذه من العادات التي يجب العمل على تغييرها. وتحت عنوان «اعمل بجد تحصل على مبتغاك»، يرى أن هذه المسألة تحديداً أشبه بمعادلة يصعب تفسيرها بوضوح.



«لحوم البقر في الهند العظيمة».. لسوامي شاكتي

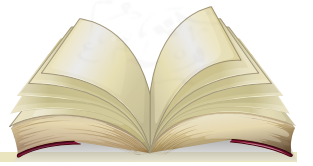
ويلا بوراتو عبدالكبير *

البقرة حيوان وديع يُحبه الجميع، فيها دفاء ومنافع كثيرة للناس، يسقون مما في بطونها من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، يجعلون من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاراً ومتاعاً إلى حين، ولهم فيها جمال حين يريحون ويسرحون، ولكن ما بال أقوام يرفعونها إلى آلهة مقدسة؟ تلك هي الكارثة التي حاقت بالهند والتي تجعل نعمة البقرة هذه نقمة. وللأسف قد أصبحت البقرة الآن مضطرة لأن تحمل على ظهرها أعباء الفاشية الهندوسية الأثمة مما أدى إلى اغتيالات أبرياء كثيرة ليس المسلمون فقط بل المنبوذون من الطبقة السفلى من الهندوس أيضاً. وكانت البداية في قرية «دادري» بولاية «أوتارا براديش» حيث تجرأ في العام الماضي حشود من «البقرهابيين» لاغتيال مسلم ضرباً اسمه محمد أخلاق بتهمة حفظ لحم البقرة في ثلاجة داخل بيته. حين اغتيل كان ابنه يحرس مرابطاً في حدود البلاد. وبعد هذه الحادثة قامت شرطة العاصمة بدلهي بحملة على مطبخ المكتب التابع لحكومة ولاية «كيرالا» بنفس التهمة. وأثار هذان الحادثان ضجة كبيرة في وسائل الإعلام آن ذاك. وتقول التقارير الصحفية إن 98% من الاغتيالات المتعلقة بعنف العصابات من «لجان رعاية البقرة» التي تشكلت في أنحاء البلاد و84% من ضحاياها كانوا من المسلمين، وفي «قرية» أونا» قامت جماعة من المتطرفين الهندوس باغتيال رجل من طائفة «شام» بنفس التهمة قبل ثلاث سنوات، وفي الحقيقة إنما سلخ جلد بقرة ماتت، وتلك كانت من ضمن مهنتهم التقليدية، إثر هذا الاغتيال ثارت طائفة «شام» وقاموا بتظاهرة كبيرة هددوا من خلالها بترك مهنتهم التقليدية احتجاجاً على أعمال العنف التي واجهوها من قبل عصابات الطبقة العليا من الهندوس المتطرفين، مما أربك السلطات الحكومية وأدخلها في مأزق، لأن السلطات تعرف جيداً أن أفراد هذه الطائفة إن تركوا مهنتهم التقليدية ستترتب عليها أزمة نظافة في البلاد حيث لا يستعد أحد للقيام بأعمال التنظيف سواهم. ولكن التصرفات الرعناء من قبل بلطجة «البقرهابيين» لم تتوقف موجتها ولم تتخذ الحكومة إجراءات مشددة ضدها، وكان آخرها اغتيال طالب مدرسة إسلامية اسمه جنيد داخل قطار أو آخر رمضان الماضي جراء هجوم قام به بعض المسافرين معه، طعنوه بسكين عدة مرات أمام شرطة سكة الحديد. كان ذلك الطالب يرجع مع شقيقه من مدينة دهلي إلى مسقط رأسه بعد أن اشترى ثياباً جديدة لاحتفال عيد الفطر.

ظروف تزداد فيها المظالم خطير مثل استعمال السكر بدون حد. لذا يرفع الرجال الفطن أصواتهم حين تقتضي الظروف ذلك. وقد تقدم كثير من الكتاب والفنانين والأكاديميين والنشطاء في مختلف المجالات بانتقاد شديد لسياسات حكومة مودي، ويقول المؤلف أيضاً إن هذا الكتاب إعلان تضامن لتصاريح أصدرها هؤلاء النشطاء بهذا الصدد. إن عدم مسالة من غير جهة مسار ثقافة اللاعنف الهندية إلى تحريم ذبح البقرة وإجازة قتل الإنسان ظلم على الغاندي العظيم، ويقول إن هذا التمييز هو الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب رغم أنه لم يتذوق أبداً في حياته لحم البقرة. ويشير إلى تناقض موقف عباد البقر الذين يتجرؤون على اغتيال من يأكل لحومها حيث لا يمتنعون من لبس الأحذية والأحزمة المصنوعة من جلودها ولا عن صناعتها التي تدر الأرباح. ومن المسخرة أن آلات الطرب مثل الطبل اللازمة لاحتفال المهرجانات التي تعقد في معابدهم إنما تصنع أيضاً من جلود بقرات من صغار السن. ألف هذا الكتاب في فراغ توافر له بين فينة وأخرى خلال رحلاته المستمرة وشغله الشاغل المرتبط بعلاج شقيقه الذي كان يعاني من مرض السرطان.

كان موقفه من قضية المسجد البابري المتنازع فيها يميل إلى موقف الحزب الحاكم الحالي. ويستنبط أيضاً من الكلمة «جوجنان» الموجودة في معجم اللغة «السانسكريتية» والمستعملة مرادفة لكلمة «الضيف» أنها تشير إلى أن عادة أكل لحوم البقر تعود جذورها إلى الزمن الأسطوري الهندوسي لأن الكلمة ذاتها مؤلفة من كلمتين - «جو» معناها بقرة، و «جنان» معناها أكل. وهي توحى بتقليد سائد في ذلك الزمان حيث يستقبل الضيوف بذبح بقرة لكي تقدم لهم أطباقاً تشمل لحومها. وعلى هذه الخلفية إذا قرأنا كتاب «لحوم البقر في الهند العظيمة» لسوامي شاكتي بهدراناندا «تتضح لنا أهميته من عدة وجوه. أولاً أن مؤلفه رجل يمثل تياراً روحانياً في الديانة الهندوسية. وثانياً أنه ملم بكتبهم المقدسة وأساطيرهم المختلفة ولا يتكلم على هواه بل يدحض مزاعم المحافظين الجدد المتزمتين من الهندوس بنقل نصوص من كتبهم المقدسة والمعترف بها لديهم جميعاً مثل «فيدا» و«أوبانيشات» و«رامايانا» و«ماهابهاراتا» لا يستطيع أحد أن ينكرها. وفي مقدمة الكتاب يقول المؤلف إنه لا غرو أن يختار شخص حرية الصمت ولكن اختيار هذه الحرية بصفة دائمة في

فتقدم بعض أعضاء البرلمان وخاصة النساء منهم مثل السيدة «سوبريا» بكلمات احتجاجية انفعالية كما قام جمع غفير من السواد الأعظم بمظاهرات كبيرة في مدن مختلفة في أنحاء البلاد تحت لافتة «ليس باسمي» (Not In My Name). وقد أصبح أكل لحوم البقر قضية سياسية أكثر من قضية دينية وتحول الفضاء العام إلى أسوأ حالة بعد أن بدأت عصابات تفرعت من رحم الأحزاب الهندوسية المتطرفة قتل كل من يريدون بتهمة أكل اللحم. فإنهم إنما يحاولون أن يجعلوا أكل لحم البقرة همماً يرهق المسلمين فقط بينما هو في الحقيقة قضية حرية اختيار طعام تهم جميع الفئات من الناس. الطبقة العليا من الهندوس ولو كانوا عموماً نباتيين تقليدياً فليس جميع الهندوس كذلك. لأن الأغلب منهم غير نباتيين يفضلون أطباق اللحوم حتى أن طائفة «البراهمة» الطبقة العليا من الهندوس في «كشمير» يأكلون لحوم البقر منذ زمن بعيد. يقول المؤرخ المشهور «أم. جي. اس. نارايانان» في مقالة نشرتها إحدى المجلات السيارة الصادرة في «كيرالا» إن الكتب المقدسة الهندوسية لا يوجد فيها نص يدل على تحريم لحوم البقرة، وجدير بالذكر أن «نارايانان»



العامّة التي انعقدت عام ٢٠١٤. وفي ولاية «راجستان» التي يحكمها حزب «بهارتيا جانا» توجد حالياً وزارة خاصة برعاية البقر. وقد أوصت لجنة أخرى كلفتها وزارة الداخلية المركزية ببناء حظيرة تُرعى فيها على الأقل ٥٠٠ بقرة من بقرات هائمة يتركها أصحابها بحيث تتحمل تكاليفها الحكومات في الولايات. ومن السخرية أن هناك لجنة تشمل ١٩ عضواً تستغرق الآن في البحث عن قوى كامنة في روث البقرة ويولها في علاج الأمراض. وحين يكون الهم الأكبر الذي يشغل رأس حكومة مودي البقرة والإجراءات الرسمية بتخصيص مبالغ بالغة على قدم وساق في شأن رفاهيتها يموت في جانب آخر مئات من الأطفال في مستشفى حكومي في ولاية أوتاربراديش بعدم توافر الأوكسجين اللازم لعلاجهم لتقصير من قبل وزارة الصحة العامة في دفع المبلغ المستحق لشركات توزع أسطوانات الأوكسجين. والسخرية في تقديس البقرة قد بلغت يافوخها من ترهات يصنعها عبّاد البقر حول ألتهتم هذه، يقولون إن في قرون البقر أشعة مفاعلات راديو وفي روثها بلو تونيا. ويسخر منهم الكاتب والعضو البرلماني «شاشي تارور»: «فليقوموا بتصدير البقر إلى «شيرنوبيل» في أوكرانيا وإلى فوكوشيما في اليابان حتى يتمكن من توطيد العلاقات الثنائية بيننا وبين كل من هذين البلدين ويصل مستوى رعاية البقر عندنا إلى أحسن الحالة». يدعي السيد مودي أنه تولى الحكومة ليقود الهند إلى العصر الرقمي ولكن للأسف جميع محاولاته للإصلاحات سواء كانت في مجال الاقتصاد مثل إلغاء الفئات من ألف روبية وخمسمائة روبية أو في مجال السياسة والترقية كانت كثيرة الضجيج وقليلة الطحين.

قد يستغرب القارئ كيف يحدث كل هذا في بلد يوجد فيه دستور علماني؟ صحيح أن دستور الهند علماني من حيث الأصل ولكن الثغرات الكامنة فيه التي يمكن سوء تفسيرها أيضاً من جهتها، هذه حقيقة صادمة. وتتضمن المبادئ الإرشادية في دستور الهند بنداً يطالب الحكومة بحظر ذبح البقرة. عند تسجيل هذا البند كان هدفه حفظ ثروة الأنعام من أجل تطوير المنتجات الزراعية. وهذا البند هو الذي تستغله القوى الهندوسية الآن بينما صلاحية هذا البند قد عفا عليها الدهر حيث استبدلت الأنعام بجراتات (تراكتورات). وقد أشارت الكاتبة الأكاديمية «بريتام سينغ» إلى مثل هذه الثغرات في دستور الهند في إحدى مقالاتها.

وقد نجح المؤلف «سوامي شاكتي» من خلال هذا الكتاب في تعرية الهندوسية من رذائلها الزائف وإظهارها على حقيقتها.

الكتاب: «لحوم البقر في الهند العظيمة»

المؤلف: سوامي شاكتي بهادرانندا.

عدد الصفحات: ٦٦.

لغة الكتاب: مالايالام (لغة محلية في الهند).

الناشر: دار النشر الإسلامي، كوزيكود، كيرالا، الهند.

* باحث ومستعرب هندي

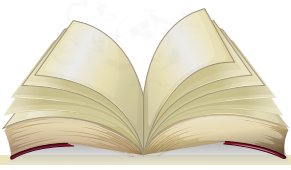


عصيره تبركا بقداسته كما يشربون ماء نهر «جانجا» تبركا. ويُمكن أن نجد في «تاي تاريا برهمنا» من الكتب الفقهية الهندوسية أوصافاً وأنواعاً من البقر والعجول التي يندرج تحتها لألتهتم المختلفة. وفي كتاب «أشفالايا جريها سوترا» تفاصيل مراسم تُقام بها فيما يتعلق بجنائز الرهبان من طائفة البراهمة من الهندوس. وبموجب هذه المراسم تجب تغطية وجه الجنائز ورأسها بحشو دابة أنثى كما يجب وضع قلبها على مكان قلب الجنائز فضلاً عن وضع كل عضو من أعضائها موصولاً بأعضاء الميت. وهكذا إن نقلنا الكتب التي تُجيز ذبح البقرة وأكل لحومها يطول بنا ذكرها لذا نكتفي بهذا الاختصار.

ومما يكشف عن نفاق عبّاد البقر تجارة لحوم البقر التي تتزعم بتصديرها إلى الخارج. وتُشير الإحصائيات إلى أن تصدير لحوم البقر قد زاد ٢٨٠٠٠ طناً بعد أن تولى مودي الحكومة. وجدير بالذكر أن ولاية «غجرات» التي حظرت ذبح البقر هي في مقدمة هذا التصدير. والأغرب من هذا أن الشركات الكبيرة التي تقوم بتصدير لحوم البقر يملكها الهندوس وتوجد حصص فيها لأعضاء بارزين من الحزب الحاكم مثل «سوني سوم» عضو المجلس التشريعي بولاية أوتار براديش.

تتناقل التقارير الصحفية في الهند أن هناك تحركاً لتخصيص حقيبتي لشؤون البقر عند تشكيل مجلس الوزراء المركزي من جديد. فحينئذ يحظى الشعب الهندي بوزير جديد يهتم بشؤون البقر في عموم الهند. وتصديقاً لهذا الخبر صدر تقرير في «لكهنو» من قبل «أميت شاه» رئيس الحزب الحاكم يؤكد فيه أن الحكومة المركزية قد تسلمت عدداً من المقترحات في هذا الصدد وأنها تفكر جدياً في تنفيذ هذه المقترحات. صرح بهذا في مؤتمر صحفي نقلته الجريدة «تليغراف» مؤخراً، علماً بأن هذا كان من مطالب سبق أن قدمها «أدتيا ناتها» رئيس مجلس الوزراء الحالي في «أوتار براديش» أمام مودي حين تولى الثاني منصب رئيس الوزراء في الحكومة المركزية بعد الانتخابات

وفي الفصل الأول يفحص مدى تطبيق نظرية اللاعنف المبنيّة عليها مبررات النباتيين ويؤكد بأن الأغلبية من القديسين في الديانة الهندوسية كانوا ممن لم يلتزموا بهذا المبدأ طوال تاريخ الهند حتى الآن. ويكشف هنا عن بطلان المزاعم التي وردت في كتاب «أكل لحوم البقر في الهند القديمة» للروحاني «أم. آر. راجيش» ببراهين دامغة من الكتب الدينية القديمة. ويقول صحيح أن بعض مشايخ الهندوس قد نهى عن أكل لحم البقرة ولكن إسناد هذا الموقف إلى جميع المذاهب الهندوسية مجرد محاولة فاشلة لتضليل القراء. وينقل هنا نصوصاً من «مانوسمريتي» (الفصل الخامس، الآية رقم ٤١) أحد أقدم الكتب الفقهية لدى الهندوس التي تثبت أن لحم البقرة كان جزءاً من النذور التي تقدم لألتهتم كما أن رهبانهم كانوا يأكلونها عند انتهائهم من طقوس دينية يقومون بها. وبهذا الصدد يشير إلى «تفسير مانوسمريتي» (صفحة: ٢١٦) للروحاني «سيدهي ناتهاناندا» النباتي الخالص الذي ينتمي إلى مذهب رامنا كريشنا الروحاني رداً على قول «راجيش» بأن النخب العلمانية الذين يدعون أن سلف الهندوس كانوا يتناولون أطعمة اللحوم إنما يستندون إلى كتب المستشرقين أمثال «ماكس مولار» (Max Mullar) و«إي. بي. كيت» (Keith) و«مونير ويليامس» (Monier Williams) الذين لا يدركون اللغة «السانسسكريتية». وإضافة إلى «سيدهي ناتهاناندا» يقدم المؤلف قائمة من جهابذة العلماء الذين لهم باع طويل في بحوث الكتب الدينية الهندوسية والطقوس المرتبطة بها وممن ساهموا بشرح وافية لها أمثال «ايركارا رامان نمبوتيري باد» وأو. أم. سي. نامبوتيري باد و«في كي بهاتاتيري باد» و«ناريندرا بهوشان» داخل كيرالا و«داياناندا ساراسواتي» وأربيندو» في شمال الهند ممن يعترف بهم الحزب الحاكم الهندوسي. حتى أن منظر الدولة الهندوسية «جول فالكار» قد اعترف بأن البقرة كانت تذبح في مناسبات دينية في القرون الأولى. وينقل من مجموعة أدبيات «جول فالكار» (الجلد السابع ص ١٨) رسالة كتبها «جول فالكار» إلى «شوندهي ماهاراج» بهذا الصدد رداً على استفسار الثاني عن جواز ذبح البقرة في مناسبات دينية. طرح «شوندهي» هذا السؤال حين انعقد قربان معروف باسم «فاجا بيبي» في عام ١٩٥٩ وشاع خبر يفيد بأن بقرات قد تذبح في هذا القربان. فرد «جول فالكار» بأنه لو لم يكن مرجعياً في مثل هذه الشؤون إلا أن هناك روايات تؤكد بأن ذبح البقر كان من العادات السائدة في الهند يمارسها الرهبان في طقوس دينية في القرون الوسطى. وقد كتب «ناريندرا بهوشان» الذي ينتمي لطريقة «أرياساماج» أن «إندران» أحد آلهة الهندوس كان يأكل لحوم البقر. ويوجد في اللغة الماراتية المحلية كتاب يسمى «دهارما شاسترا فيهار»، وهو شرح للكتب المقدسة المعروفة باسم «براهمانياها». ينقل المؤلف مبررات وردت في الطبعة الثامنة عشرة من هذا الكتاب بأن قداسة البقرة هي ذاتها سبب جواز أكل لحومها مثل الريحان الذي يعتبرونه الهندوس نباتاً مقدساً. الهندوس المتدينون، هم يأكلون أوراقيه ويشربون



«البوابة الخلفية لهولندا: أو كيف يتماهى عالم الجريمة مع الدولة والمجتمع».. لبيتر توبس ويان ترومب

عبدالرحمن السليمان *

إذا كانت الجريمة قديمة قدم الإنسان، فإن تنظيمها تطور منذ الثورة الصناعية حتى اليوم تطوراً كبيراً، وشهد مع انتشار الشبكة العنكبونية وثورة الاتصالات الرقمية تعقيداً كبيراً. وليست المافيا وغيرها من منظمات الجريمة السرية إلا مظهرًا واحدًا فقط من مظاهر عالم الجريمة السري الذي بات يطلق عليه اليوم اسم «العالم السفلي» تمييزاً له عن «العالم العلوي» الذي يراد به مؤسسات الدولة في دولة القانون. وزاد تماهى السياسة مع رأس المال والمصالح المرتبطة به من جهة، وتداخل العالم السفلي مع «العالم العلوي» من جهة أخرى، من تعقيد المشهد الذي لا يكاد يتحدث عنه أحد لضبابيته وخطورته. من ثمة أهمية هذا الكتاب الجديد: «البوابة الخلفية لهولندا: أو كيف يتماهى عالم الجريمة مع الدولة والمجتمع» لكاتبه بيتر توبس (Pieter TOPS) أستاذ العلوم الإدارية في جامعة تلبورخ في هولندا، ويان ترومب (Jan TROMP) الصحفي الهولندي المعروف. ويكتسب الكتاب أهمية خاصة نابعة من كون هولندا واحدة من الدول الديمقراطية العريقة القليلة في العالم التي تكاد الدولة تنظم معظم جوانب الحياة فيها: من السكن إلى التعليم، ومن العمل والضمان الاجتماعي والرعاية الصحية إلى التقاعد، وتراقب ذلك بدقة متناهية. وهذا يضع القارئ أمام مفارقة عجيبة لأن ازدهار الجريمة غالباً ما يكون نتيجة لضعف الدولة المركزية أو غيابها عن بعض المجالات الاجتماعية الحيوية. من ثمة الضجة التي أحدثها الكتاب الذي يلقي ضوءاً على ظاهرة تكاد تكون مجهولة في هولندا.

كالهيريون والكوكائين والحبوب المهلوسة. من جهة أخرى أصبحت أمستردام والمدن الهولندية الحدودية المتاخمة لبليجيكا وألمانيا محجاً لتعاطي المخدرات من كل دول أوروبا، مما يجعل الطلب على المخدرات أكبر من العرض فيها. وهذا ما يؤدي إلى انتشار ظاهرة مزارع الحشيش السرية في هولندا داخل الأراضي الفلاحية أو في المنازل الكبيرة أو في مستودعات كبيرة تحت الأرض. ويعتقد الكاتبان أن هذه المزارع لا يمكن أن تبقى مستورة بدون علاقة ما بين «العالم السفلي» (عالم الجريمة) و«العالم العلوي» (دولة القانون). ولعل التهديد الذي يتلقاه محافظو المدن ورؤساء البلديات القروية - ومنهم محافظ بلدية غلزة راين (Gilze-Rijen) الواقعة جنوب مدينة تلبورخ والذي شَمِعَ عقاراً يملكه هولندي من أصل تركي كان يستخدمه مزرعة للحشيش - أكثر ما يثير التأمل في هذا السياق. يقول ذلك المحافظ: «عندما استدعت ذلك المواطن إلى دار البلدية، فإن لغة جسمه كانت تقول لي: إياك أن تشمّع العقار وتصدر الغلظة! ويضيف المحافظ: «أظن أنهم سوف يراجعون أنفسهم ثلاث مرات قبل أن يتعرضوا لمسؤول في الدولة. وإذا ترك مسؤول في الدولة الخوف يقوده، فإن النتيجة ستكون الفوضى. هذا اعتقادي الراسخ. نعم، أناقش ذلك في البيت مع أسرتي. أقول لهم: لست خائفاً، لكنني حذر. في الوقت نفسه لا أستطيع أن أتصرف وكأن شيئاً لم يكن».

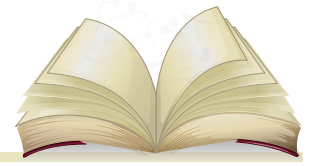
ويتوقف الكاتبان في فصل آخر عند «الضبابية التي تغلف صناعة القنب الهندي» والإجراءات البوليسية التي تهدف إلى محاربة هذه الصناعة التي تشكل العمود الفقري للجريمة المنظمة في هولندا. فعلى الرغم من «وسائل التحري الذكية التي تحاصر عصابات المخدرات المنظمة»، فإن قسماً من الإحباط يعتري ضباط الشرطة الذين يعتقدون أنه من الصعب «الإمسك بالرؤوس الكبيرة»، التي تدير هذه الصناعة. في هذا السياق يستحضر الكاتبان تصريحاً مثيراً لقائد شرطة إحدى البلديات

تلبورخ يكسبون خبزهم اليومي من الاشتغال بصناعة مخدر القنب الهندي هذه والتي يتراوح إيراده السنوي من ٧٥٠ إلى ٩٠٠ مليون يورو». ويضيف التقرير بأن حوالي «ستين منظمة إجرامية تنشط في مدينة تلبورخ» من أجل تنظيم صناعة القنب الهندي في مدينة تلبورخ وحدها. إن أهم مراحل هذه الصناعة هي (١) زراعة القنب، و(٢) معالجته و(٣) بيعه وأخيراً (٤) تبييض الأموال المكتسبة من الاشتغال به.

يعالج الكاتبان في فصل بعنوان «محافظون تحت التهديد» مشكلة الظهور الرسمي للشبكات الإجرامية في المجتمع، ويعزوان الكلام فيه لمحافظ مدينة تلبورخ في تصريح له بمناسبة إذاعة التقرير بين الناس: «لدينا هنا أشخاص يتجولون في المدينة بسيارات فخمة وغالية وهم يتكثرون بسواعدهم على نوافذ سياراتهم المفتوحة وكأنهم أمراء، مرسلين بذلك رسالة إلى الجميع مفادها: نحن السادة المتصرفون في هذا المكان». ويقصد المحافظ بذلك تلك الطبقة التي جمعت ثروات مالية كبيرة من الاتجار بالمخدرات في دولة تشرعن استخدام المخدرات بكميات محددة. فهولندا واحدة من دول قليلة في العالم تشرعن استعمال كميات محددة من المخدرات في مقاه مخصصة لتناول المشروبات والحشيش والماريوانا، تسمى «مقاهي الحشيش» (Coffeshops). وقد حددت وزارة العدل الهولندية شروطاً كثيرةاً للترخيص لهذه المقاهي أهمها حد كمية البيع فيها بخمسة غرامات من الحشيش للشخص الواحد في اليوم. إن أهم حجة يسوقها المدافعون عن شرعية استعمال المخدرات في الأماكن العامة والخاصة هو محاربة الاتجار غير الشرعي بها المؤدي إلى تحقيق أرباح طائلة بسبب غلاء المخدرات المهربة. ومع ذلك تزدهر تجارة المخدرات في هولندا خصوصاً وفي الغرب عموماً، ذلك أن شرعية استعمال المخدرات في هولندا تقتصر على المخدرات الخفيفة (مخدر القنب الهندي ومنتجاته من حشيش وماريوانا إلخ)، ولا يشمل المخدرات الثقيلة

يستهل الكاتبان كتابهما بالعبارات المثيرة التالية: «الذهب يلتهم مقر البلدية، ورؤساء البلديات أو المحافظون يتعرضون للتهديد، والمجالس البلدية مخترقة». في أثناء ذلك «يمول مجرمون غاية في الثراء النوادي الرياضية». أما في الأحياء الشعبية فإن تجار المخدرات هم «المصلحون الاجتماعيون الجدد». وعندما يُقتل شاب تركي بالرصاص في عملية تصفية حسابات بين العصابات فإن أعضاء نادي الدرجات النارية ساتوداره (Satudarah) هم الذين يأتون لتنظيم حركة المرور، بدلاً من شرطة السير. وبذلك يثبت الكاتبان بأن للشبكات الإجرامية تأثيراً كبيراً - أكبر مما قد نظن - على الحياة العامة في هولندا. كيف يكون ذلك، وفي هولندا؟ يتساءل الكاتبان باستنكار. ثم يجيبان بالقول «إن في هولندا طبقة اجتماعية تحتية محمية لا تفتأ تعبر عن اشمئزازها من النخبة واحتقارها لها. لهذه الطبقة التحتية أفكارها الخاصة بها حول أهم مبدأ من مبادئ المجتمع الليبرالي: حق تقرير المصير. لقد طورت هذه الطبقة التحتية ما يسميه الكاتبان «اتحاد الجريمة المبادر»، لأن عصابات الجريمة المنظمة تبرز على الساحة وتتخذ فيها مبادرات شتى بعضها اجتماعي. في أثناء ذلك تكتفي الحكومة وسلطات الدولة «بالمشاهدة»، كما يقول الكاتبان.

يتكون الكتاب من تسعة عشر فصلاً هي بمثابة التقرير لرحلة طويلة من البحث عن تفسير لبعض الظواهر المثيرة التي تطرحها وسائل الإعلام من وقت لآخر، وبعض الأحداث التي تقع في البلاد ولا تجد لها تفسيراً معقولاً. يبدأ الكاتبان بمقدمة يتوقفان فيها عند التقرير السري الذي حرر صيف سنة ٢٠١٣ واطلع عليه الكاتبان قبل إذاعته بين الناس بنصف سنة. يفجر التقرير قنبلة سياسية واجتماعية واقتصادية عندما ينص بأن «زراعة مخدر القنب الهندي أو «الكيف» في مدينة تلبورخ الهولندية هي الصناعة الأكثر ازدهاراً في المدينة». وحسب التقرير «فإن ألفين إلى ثلاثة آلاف مواطن في مدينة



المنظمة في السياسة «سبباً من أسباب الصدام السياسي الزمن في البلد» كما يقول الكاتبان، وصارت الخشية من تحكم المجرمين بالقرار السياسي حقيقة لأنهم يؤمنون بأنهم قادرون على شراء أي شيء بملايينهم الكثيرة، بما في ذلك ذمم المسؤولين في الدولة.

الكتاب مليء بالمعلومات المثيرة، ويعالج الكاتبان فيه العديد من مظاهر الجريمة المنظمة التي تحتل تجارة المخدرات وتبييض الأموال المكتسبة منها حصة الأسد من أنشطة القائمين على الجريمة المنظمة. إلا أن الفصل المعنون بـ «العالم العجيب للشبكة العنكبكية المظلم» وخصوصاً فيما يتعلق بالعمليات المالية مثير للغاية. لقد صُمم نوع من المعاملات المالية بناء على ما صار يُسمى بـ «العملة المعماة» (Bitcoin)، وهي عملة كاليورو والدولار والين، إلا أنها عملة رقمية يتم تداولها عبر الشبكة العنكبكية فقط، ولا وجود حقيقي لها على أرض الواقع، ولا يقف خلفها مصرف وطني أو مؤسسة مالية مركزية، ولا تدعم بالذهب أو بالمعادن الشريفة الأخرى. إنها

عملة افتراضية خالصة تستخدم للشراء والبيع وإبرام الصفقات عبر الشبكة العنكبكية وفي متاجر رقمية. يتم تداولها عبر «بطاقات بيتكوين» مثلما تستعمل بطاقات الائتمان «الفيزا» أو «الأمريكان إكسبرس»، مع فارق أن العملة المؤدى بها عبر البطاقتين المذكورتين عملة حقيقية تقف خلفها دول ومصارف وطنية وهيئات مركزية. إن الملف للنظر في هذه العملة المعماة أنها قانونية من جهة، وفي الوقت نفسه «تحول تكنولوجيا سلاسل الكتل (Blockchain Technology) دون رفع السرية عن أنشطتها بواسطة تدخل المصارف أو الموثقين القانونيين» من جهة أخرى. بكلام آخر: «إن العملة المعماة عملة لا مركزية مستقلة قائمة بنفسها تستعمل للدفع في الشبكة العنكبكية عبر العالم ولا تخضع لمراقبة أية سلطة مركزية أو نظام مصرفي والتعامل بها مجاني بدون رسوم مالية ولا تستطيع أية حكومة في العالم تجميدها أو مصادرتها». ولا شك في أن توظيف هذه العملة المعماة في طرق استثمار هي أقرب إلى القمار واليانصيب منها إلى المضاربة المالية، هو الذي جعل الكثيرين من المغامرين يلجؤون إلى التعامل بها بحثاً عن الحظ وكسب المال، مما يفتح الباب على مصراعيه لعمليات النصب والاحتيال وتبييض الأموال التي لم تسلم منها هولندا أيضاً. ففي بداية سنة ٢٠١٦ أُلقت الشرطة الهولندية القبض على عصابة في روتردام وحجزت سيارات أعضائها الفاخرة التي اشترت بواسطة هذه العملة المعماة. كانت تلك العصابة تتكون من عشرة أفراد منها شخص من ليتوانيا في القطب الشمالي، وآخر من المغرب في الجنوب، والآخرون من هولندا، «تمكنوا» بكل سهولة «من تبييض خمسة عشر إلى عشرين مليون يورو من المال المكتسب من الاتجار بالمخدرات باستخدام هذه التكنولوجيا المالية الجديدة».

الكتاب: «البوابة الخلفية لهولندا: أو كيف يتماهى عالم الجريمة مع الدولة والمجتمع».

المؤلف: بيتر توبس ويان ترومب.

الناشر: دار بالانس (هولندا)، ٢٠١٧.

اللغة: الهولندية.

عدد الصفحات: ٢٥٤ صفحة.

* أستاذ الترجمة في جامعة لوفان في بلجيكا

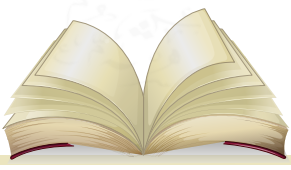


عليها، وكيف تعمل آليات هدم دولة القانون» من الداخل. من هم المتغلغلون، وكيف تعمل هذه الآليات؟ إنهم أشخاص متعلمون يأتون إلى الكتل الحزبية في المجالس البلدية، والحديث هنا للمحافظ الذي فضل ألا يكشف عن اسمه، ثم يقدمون أنفسهم متطوعين للقيام بأعمال داعمة لأنشطة الكتل الحزبية، ويبحثون عما يدور في الأحياء المختلفة. مع مرور الوقت يصبحون أعضاء في المجالس البلدية، فيحصلون على مهام وواجبات ينبغي القيام بها ويشاركون الأعضاء الآخرين في الحديث والمشورة واتخاذ القرار. ويضيف: «وغالباً ما يبعث دخول أشخاص مؤهلين علمياً واجتماعياً الكتل الحزبية المختلفة شعوراً بالسعادة لدى الأحزاب السياسية المنتخبة». فيتغلغل هؤلاء الأشخاص في الكتل الحزبية والمجالس البلدية «ويكونون لأنفسهم في وقت قصير شبكات اتصال وتواصل متشعبة داخل الأحزاب السياسية وخارجها». بعد ذلك يبدأ هؤلاء المتغلغلون التدخل في قضايا يعينها كالمشؤون المالية وتنظيم الفضاء العمراني والاجتماعي. في هذا السياق يبدي الكاتبان تعجبهما الشديد من السرعة التي يتم فيها ذلك التغلغل والتدخل، «بحيث تكتشف الأحزاب على أخرة من الوقت أن هؤلاء الأشخاص إنما ترشحوا للعمل متطوعين» ثم أصبحوا أعضاء في المجالس البلدية مشاركين في اتخاذ القرار فيها «من أجل التحكم في ملف واحد هو الملف العقاري» الذي تشرف عليه الحكومة في هولندا ولا تترك منه شيئاً للقطاع الخاص، «أو من أجل السيطرة على مشاريع إصلاح العقارات القائمة الكبيرة». وهذان القطاعان، قطاع البناء وقطاع الترميم والإصلاح أهم قطاعين اقتصاديين تستثمر فيهما الأموال المكتسبة من الجريمة المنظمة في الدول الغربية، حيث تشتري تلك العقارات بقروض من المصارف، وتبييض الأموال السوداء في عمليات الترميم والإصلاح. «وفجأة يتخذ قرار في المجلس البلدي غير متوقع»، وغالباً ما يكون هذا القرار «ضد وجهة نظر الحزب المعلن عنها» كما يقرر المحافظ الذي عايش ذلك كله، ويضيف قائلاً: «إنهم لا يهددون أحداً، بل يدخلون بلطف ويعرضون مساعدتهم على الجميع. والمساعدة عندما تقبل تقرض نوعاً من العلاقة واليهود ورد الجميل الذي قد يطالب المتغلغلون به بطريقة لا تخلو من ابتزاز» في نهاية المطاف. لقد أصبح تغلغل الجريمة

التي تنشط عصابات المخدرات فيها: «عندما تضبط المنازل المستعملة في صناعة المخدرات فإن المجلس البلدي يطالبنا عشية الاحتفال بعيد ميلاد المسيح بالتوقف عن ملاحقة مجرمي المخدرات معتبرين عملنا هذا عملاً غير اجتماعي ويطالبوننا بتركهم يكسبون بعض المال لإنفاقه في أعياد الميلاد.. ويضيف: «إن المشكلة تكمن فينا نحن، وليس في مجرمي المخدرات»، خصوصاً وأن الشرطة تسير طائرات بدون طيار مزودة بأجهزة اكتشاف نبات القنب الهندي فوق المدن بحثاً عن المنازل المستخدمة في زراعة القنب الهندي، وتستطيع في أي وقت ضبطهم.

ويخصص الكاتبان فصلاً يناقشان فيه جهة المال المكتسب من صناعة المخدرات هذه ويتساءلان: «أين المليارات الذي تكتسب عبر البوابة الخلفية لهولندا؟ وهل من السهولة إخفاء المال في هولندا أو تصريفه؟ وإذا كان الإيراد السنوي من الاتجار بالقنب الهندي لوحده في مدينة تلبرورغ لوحدها يتراوح من ٧٥٠ إلى ٩٠٠ مليون يورو، فماذا عن المدن الأخرى؟ وكيف يُصرف هذا المال الذي يبدو أنه «أكثر بكثير من هذه التقديرات الأولية» كما يرى الكاتبان؟ «هل يطمر في حفر تحت الأرض؟»، يتساءل الكاتبان بسخرية. الجواب بالطبع لا. وهنا يأتي دور شركات تصريف المال، أو تبييضه، من خلال تهريبه إلى الخارج، أو توظيفه في مشاريع بطريقة تمكن الموظفين من الاحتيال على أجهزة الرقابة المالية وتضليلها. ولعل هذه الجريمة، أي تبييض الأموال المكتسبة من الجريمة المنظمة عمومًا والاتجار بالمخدرات خصوصاً، هي ثاني أهم جريمة يُشتغل فيها في هولندا (وسائر دول العالم). يقول الكاتبان: «ولكن تنفيذها غير ممكن بدون اتصال بين العالمين السفلي والعلوي». فهذا التداخل بين عالم الجريمة المنظمة ومؤسسات الدولة كثيراً ما يُشار إليه على أنه تفسير بعض الظواهر المثيرة للتأمل كتبييض الأموال أو تهريبها أو حتى تطوير صناعة المخدرات وحمائيتها ضد العدالة. ولعل في تصريح ممثلة النيابة العامة في مدينة برابانت، التي تقارن فيه مدينة برابانت بمدينة «سدوم وعمورة» أو مدينة قوم لوط التي دُمّرت عقاباً لأهلها على إتيانهم الفاحشة، ما يوحي بذلك، وهذه المقارنة مثيرة لأن مدينة قوم لوط رمز الرذيلة والفساد والانحطاط الأخلاقي في الذاكرة الجمعية لليهود والنصارى والمسلمين. وتحتوي هذه المقارنة على اتهام ضمني بأن ثمة في «العالم العلوي» من هم جزء أيضاً من «العالم السفلي» أو البوابة الخلفية للبلد. وهذا ليس مثيراً بحد ذاته لأنه أصبح يبدو وكأنه سر علني، ليس في هولندا فحسب، بل وفي دول كثيرة. فهذه أهم جريدة بلجيكية (جريدة دي ستاندارد/De Standaard) تكتب في عددها الصادر بتاريخ ٨ أيلول/سبتمبر ٢٠١٧ بأن القضاء على تجارة الكوكائين عبر ميناء مدينة أنتورب في بلجيكا - وهو ثاني أكبر ميناء في أوروبا بعد ميناء روتردام الهولندي - شبه مستحيل وأن هذه التجارة في نمو مستمر وذلك على الرغم من محاربتها، مما جعل الجريدة تكتب في العنوان: «يُخشى بأن يكون مجرمو المخدرات قد أصبحوا نافذين في قطاعات استراتيجية كقطاع الشرطة والجمارك والعدالة».

ولمحاولة فهم هذه النقطة بالذات، يعنون الكاتبان فصلاً بعنوان (كيف تخترق الإدارة؟) ويستشهدان فيه بحديث لمحافظ تحدث إليهما وفضل ألا يكشف عن اسمه في الكتاب. يستطرد الكاتبان: «لقد رأى هذا المحافظ» أو رئيس المجلس البلدي «الكثير وصار يعرف جيداً كيف يتغلغل المجرمون في الإدارة الحكومية وكيف يسيطرون



«تكيف الأسواق: التطور المالي في سرعة الفكر».. لأندرو ون

محمد السالمي *

يحدث الآن تطور كبير في علم الاقتصاد؛ من حيث تفسير الظواهر الاقتصادية، والابتعاد قليلاً عن الاقتصاد الرياضي.. فهناك ميول عامة في الدراسات الاقتصادية لربط هذا العلم مع العلوم المتعددة مثل البيولوجيا والسيكولوجيا... وغيرها من العلوم، وظهور بشكل واسع لأفروع متعددة لهذا العلم؛ مثل: الاقتصاد السلوكي، واقتصاد السعادة، والاقتصاد البيئي... وغيرها، مع العلم بأن الفأزر بجائزة نوبل في الاقتصاد للعام ٢٠١٧ هو ريتشارد ثال؛ لإسهاماته الكبيرة في الاقتصاد السلوكي. وعند النظر في الكتب الاقتصادية الحديثة، فأغلبها تتحدث في الاقتصاد الجزئي والسلوكي وتفسير ظواهر البشر، والمحاولة في تغيير بعض القوانين مثل الاستهلاك والمنفعة. فكتاب «كيف الأسواق: التطور المالي في سرعة الفكر»، يحاول تفسير الأسواق المالية من مبدأ التطور البيولوجي للإنسان. هذا الكتاب من تأليف أندرو ون تشوان لو (Andrew Wen-Chuan Lo)، ويشغل منصب أستاذ في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، كما تم تصنيف الكتاب ضمن أفضل الكتب الاقتصادية لعام ٢٠١٧ حسب الفايانانشيال تايمز.

وفي دراسة حديثة لأسواق رأس المال، كان هناك نوعان من الابتكار: الأول الأفكار التي تسهم في قدرتنا على اتخاذ أحكام أفضل؛ أما النوع الثاني، فهي الفرضيات والنظريات الحقيقية، والتي هي قابلة للاختبار، كما أنها أيضاً قابلة للتزوير، وهذه الأخيرة قليلة ومتباعدة.

على حل مختلف التحديات الاقتصادية. وطالما بقيت تلك التحديات مستقرة على مر الزمن، فإن استدلالها سيتكيف في نهاية المطاف ليؤدي إلى حلول مثلى تقريبا لتلك التحديات. مثل نظرية هربرت سيمون حول العقلانية المقيدة، فإن فرضية تكيف الأسواق يمكن أن تفسر بسهولة السلوك الاقتصادي. ولكن هذه الفرضية تذهب أبعد من ذلك ويمكن أن تفسر السلوك الاقتصادي الذي يبدو غير منطقي تماما. البشر وبقية الكائنات على حد سواء يتكيفون مع بيئتهم. وإذا تغيرت البيئة، فإن استدلال البيئة القديمة قد لا يكون ملائماً للبيئة الجديدة. وهذا يعني أن سلوكهم سيبدو «غير منطقي». وإذا لم يتلق الأفراد أية ردة فعل من بيئتهم - سواء إيجابيا أو سلبيا - فلن يتعلموا. إذا تلقوا التعزيز غير المناسب من بيئتهم، فإن الأفراد يتعلمون السلوك دون المستوى الأمثل. وإذا كانت البيئة تتحول باستمرار، فإنه يصبح مثل القط الذي يطارد ذيله ما لا نهاية، أي أن الأفراد في هذه الظروف لن يصلوا إلى الخيار الأمثل. وهذا أيضا سيبدو «غير منطقي». لكن فرضية الأسواق التكيفية ترفض تسمية مثل هذه السلوكيات بأنها «غير عقلانية». وهي تدرك أن السلوك دون المستوى الأمثل سوف يحدث عندما نأخذ الاستدلال من

واتخاذ قرارات دون المستوى الأمثل، ولكن يمكننا أن نتعلم من الخبرة السابقة ومراجعة الاستدلال ردا على ردود فعل سلبية. ويؤكد الكاتب أن لدينا القدرة على التفكير المجرد من التنبؤات على أساس الخبرة السابقة، والتحضير للتغيرات في بيئتنا. ويشير إلى أن ديناميات السوق المالية تعتمد بشكل رئيس على تفاعلاتنا في التصرف والتعلم والتكيف مع بعضنا البعض، وإلى البيئات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والطبيعية التي نعيش فيها. والبقاء على قيد الحياة هي القوة في نهاية المطاف التي تقود إلى المنافسة والابتكار، والتكيف. هذه المبادئ تؤدي لاستنتاج مختلف جدا من العقلانية. في إطار فرضية تكيف الأسواق، في العادة لا يعرف الأفراد على الإطلاق ما إذا كان استدلالهم الحالي «جيذا بما فيه الكفاية». حيث إن هذا الاستنتاج هو نتيجة التجربة والخطأ. فالأشخاص يتخذون الخيارات بناءً على تجربتهم السابقة وأفضل تخمين فيما يتعلق بما قد يكون مثاليا، ويتعلمون من خلال تلقي ردود الفعل الإيجابي أو السلبي من النتائج. ونتيجة لهذه التغذية الراجعة، يطور الأفراد الاستدلال الجديد والقواعد الذهنية للإبهام مساعدتهم

وعند النظر في صور آثار الكساد الاقتصادي في اليونان أو الأرجنتين... وغيرها من الدول سابقا؛ مثل: ألمانيا أو الولايات المتحدة، تجد تجمع الحشود خارج البنوك، على أمل سحب مدخراتهم قبل أن ينهار البنك. يطلق الاقتصاديون على هذه الظاهرة مفهوم الذعر المصرفي، ويفسرها أندرو لو بأخذ مقارنة بيولوجية في التمييز بين حشد البشر من قطع من الإوز أو قطع من الغزلان من الناحية النوعية، عبر الانخراط في نفس السلوك. كلاهما تكيف مع الضغوط البيئية، ومنتجات الانتقاء الطبيعي. في الواقع، أدرك الاقتصاديون دون وعي الطبيعة البيولوجية لهذه السلوكيات عندما وصفوها بأنها «الذعر». ويؤكد علم الأعصاب وعلم الأحياء التطوري أن التوقعات العقلانية وفرضية الأسواق الفعالة لا تأخذ إلا جزءا من مجموعة كاملة من السلوك البشري. هذا الجزء ليس صغيرا أو غير مهم. في الواقع، سيكون من الحكمة أن يعتمد المستثمرون فرضية الأسواق الفعالة كنقطة انطلاق لأي قرار تجاري. ويُمكن تلخيص فكرة أندرو الأساسية في عدة مبادئ رئيسية؛ ألا وهي: أن سلوكياتنا ليست دائما عقلانية ومنطقية، ولكن نحن كائنات بيولوجية شكلت معالمها وسلوكياتها عبر التطور البيولوجي. كما أننا عرضة للتحيز السلوكي



على حساب الأسعار. بدلا من ذلك، يعكس سلوك المستهلكين بينهم التطورية والاقتصادية السابقة أي تاريخهم. حيث يستخدم المستهلكون الميراث البشري المشترك للتحيزات السلوكية التي تطورت على مدى الأطر التطورية، وكذلك الاستدلال والقواعد الإبهامية التي تطورت من تجاربهم الشخصية.

يرى الكاتب أن إسهام سمويلسون يكمن في تحليل الظواهر الاقتصادية باستخدام الفيزياء الرياضية، وكان هذا في حد ذاته تكييفا مع البيئة. دون الحاجة إلى تفسير نصي مثل الفيلسوف، عندما نقرأ من الاقتصاديين الكلاسيكيين الذين جاءوا قبل بول سامويلسون، سنضع من نثرهم الطويل. ولكن مع إسهام سمويلسون، أصبحت العديد من الأسئلة في الاقتصاد أكثر قابلية للتحكم فكريا. ولكن في المقابل، المشكلة مع هذا النهج هو أن علم الأحياء هو أكثر ملاءمة للاقتصاد من الفيزياء. في الواقع، فإن معظم الظواهر الاقتصادية في العالم الحقيقي تبدو ببساطة أشبه بيولوجيا من الفيزياء. فمن النادر جدا العثور على أية أفكار اقتصادية تتفق تماما مع مشتقات رياضية أنيقة. كما يمكن للفيزيائيين تفسير 99% من جميع الظواهر الفيزيائية الملحوظة باستخدام قوانين نيوتن الثلاثة للحركة. وعلى النقيض من ذلك، فإن الاقتصاديين، لديهم 99 قانونا يفسرون 3% من جميع السلوك الاقتصادي، وهو أمر محبط للغاية.

هناك تحول ملحوظ في علم الاقتصاد من التفسير الفلسفي ومن ثم التحول نحو الرياضيات والفيزياء في منتصف القرن العشرين، ومن ثم دمجها مع العلوم الأخرى من الأحياء والسيكولوجيا وغيرها من العلوم. فكتاب تكييف الأسواق يقدم مجموعة من الملاحظات حول الطبيعة البشرية، وبالتالي سلوك الأسواق. كما أنه يقدم الكثير من المواد الصعبة وغنية بالمعلومات، ولهذا السبب يستحق الكتاب القراءة.

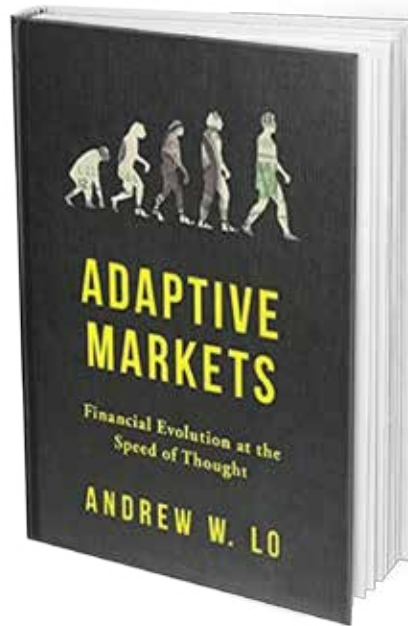
- الكتاب: «تكييف الأسواق: التطور المالي في سرعة الفكر».

- المؤلف: أندرو ون تشوان لو.

الناشر: Princeton University Press، بالإنجليزية، 2017.

عدد الصفحات: 504 صفحات.

* كاتب عُمانى



تضمن أن سلوك المستهلك، وإن لم يكن بالضرورة هو الأمثل أو «العقلاني»، عادة ما يكون جيدا بما فيه الكفاية.

ومع ذلك، فإن فرضية الأسواق التكيفية لا تدعي أن سلوك الفرد يتم تحديده فقط بواسطة البيولوجيا. فرضية تكييف الأسواق هي نظرية تطورية، ولكنها ليست نظرية لعلم النفس التطوري. التكيف يعمل على مستويات متعددة. ففي تكرر الأفكار الناجحة فإنها تتداول، في حين أن الأفكار الفاشلة تنسى بسرعة. ونتيجة لذلك، لا يعمل الاختيار على جيناتنا فحسب، بل أيضا على معاييرنا الاجتماعية والثقافية. ويعتمد سلوكنا التكيفي على البيئة الخاصة التي وقع فيها الاختيار أي من تجربة الماضي. وهذا يعني أن نظرية المستهلك الفردي في إطار فرضية الأسواق التكيفية تختلف اختلافا جوهريا عن نظرية سامويلسون الجديدة الكلاسيكية. ففي النظرية القياسية، فإن المستهلكين يستخدمون أموالهم في ما يريدون على أساس الأسعار لتعظيم الاستفادة المتوقعة. حيث يتم تحديد تفضيلاتهم مع مرور الوقت، وسلوكهم يتغير فقط مع تغير الأسعار. ليس لديهم ذاكرة للظروف السابقة، لأنه في ظل فرضية الأسواق الفعالة، فإن الأسعار تعكس بالفعل جميع المعلومات السابقة، وتحت التوقعات العقلانية، فإن الفائدة التنبؤية للماضي هي بالفعل صفرا. وعند تفسيرها رياضيا، فإن سلوك المستهلك لديه «مسار مستقل»: فقط نقطة البداية النهائية. سوف يشتري المستهلك السلع بطريقة مثلى رياضيا، ومن هنا تم الحكم عليها بالعقلانية. ولكن في فرضية تكييف الأسواق، لا يتم احتساب كيف استخدم المستهلكون أموالهم

السياق البيئي الذي ظهرت فيه، مثل القرش الأبيض الكبير على الشاطئ. حتى عندما يبدو السلوك الاقتصادي غير عقلاني للغاية، مثل المتداول الغارق الذي يضاعف استثماره من أجل تعويض الخسائر الغير قابلة للاسترداد، فإنه قد يكون لا يزال لديه تفسير التكيف. لاقتراض كلمة من علم الأحياء التطوري، وصف أكثر دقة لمثل هذا السلوك ليس «غير المنطقي»، ولكن «سوء التكيف». ما يحافظ على سلوك المستهلك من الفوضى تماما هو عملية الاختيار. إن عملية الاختيار، من خلال التخلص من السلوكيات السيئة من السلوكيات الجيدة، تضمن أن سلوك المستهلك، وإن لم يكن بالضرورة هو الأمثل أو «العقلاني»، عادة ما يكون جيدا بما فيه الكفاية. كما تطرق الكاتب لتفسير الاقتصاديين حول سلوك السوق. على الرغم من أن معظم الاقتصاديين عرفوا لسنوات أن فرضية الأسواق الفعالة ليست وصفا دقيقا لسلوك السوق، إلا أنهم وصلوا استخدامه لأنه ليس لديهم أي شيء أقوى ليحل محله. يبدأ الكاتب مع نظرية المستهلك الفردي، تماما كما فعل بول سامويلسون في عام 1947. في رأي سامويلسون الأفراد دائما يسعون لتعظيم الفائدة المتوقعة. وهذا يعني أن المستهلكين ينفقون دائما أموالهم للحصول على أقصى ما يستطيعون الحصول عليه من الأشياء التي يريدونها حقا. وعلاوة على ذلك، فإنها يمكن تفسيرها رياضيا.

عرف سامويلسون أن التحسين الرياضي كان غير واقعي من الناحية النفسية. لذلك، فإن الطريقة الواقعية الوحيدة لقياس قوة رغبة المستهلك هي استخدام السعر الذي يرغب الشخص في دفعه من أجل الوفاء أو الرضا عن رغبته. لا تزال فرضية الأسواق التكيفية تحمل مجالا لتعظيمها، ولكنها تجعل الافتراض أكثر تواضعا بكثير من سامويلسون حول قدرة الفرد على تحسين السلوك. حتى لو كنا نستطيع حساب التفاضل والتكامل، فإننا عادة لا نطبقه على ميزانياتنا اليومية. تدرك فرضية تكييف الأسواق أنه على الرغم من الضغوط التطورية لتعظيمها، فإنها قد لا تؤدي إلى السلوك الأمثل. إن التكيف الناجح بشكل تطوري لا يجب أن يكون الأفضل، فإنه يحتاج فقط إلى أن يكون أفضل من البقية. في إطار فرضية الأسواق التكيفية، سلوك المستهلك يعتمد على مسار كبير. وما يحفظ سلوك المستهلك من الفوضى تماما هو عملية الاختيار. إن عملية الاختيار، من خلال التخلص من السلوكيات السيئة من السلوكيات الجيدة،



«الابتكار في مياه عكرة: العلوم والتكنولوجيا والأيديولوجيات».. لإيفان سانسوليو وأرنو سانت مارتان

سعيد بوكرامي *

أصبح الابتكار حافزاً حيوياً للدول والشركات ومراكز البحث؛ لأنه يُمكنها من صناعة قيمة مضافة علمياً واقتصادياً تسهم بفاعلية في التنمية. يتم تعريف مفهوم الابتكار على أنه تحقيق لفكرة مبتكرة وتسويقها؛ فالابتكار يجب أن يكون مُجدياً تقنياً واقتصادياً. لكن تطوير المنتجات أو الخدمات على المستوى الداخلي فقط، ليس عملياً تقنياً، أو قد يكون مكلفاً جداً من الناحية المالية. ويبقى الخيار الذي تعتمد عليه الشركات على نحو متزايد هو البحث عن التعاون عن طريق الاستعانة بمصادر خارجية أو إقامة شراكات. وعادة ما يكون تقاسم المهام بين الشركات الشريكة هو الحل الأقل تكلفة. ومن هنا، أضحت الابتكار ذا طابع عالمي، بالنظر إلى ضرورات العولمة، وظهور المنافسة الآسيوية، واعتماد الاقتصاد الجديد القائم على المعرفة، واتصاله بالقضايا الجديدة المرتبطة بالتنمية المستدامة، أصبحت إدارة الابتكار شاغلاً إستراتيجياً دائماً للشركات.

ومن الصعب الهروب من الخطابات المحتمدة حول الابتكارات التكنولوجية، وتجنب عود وإغراءات رجال الأعمال المشهورين في «السيليكون فالي»، أو طوكيو أو في شنغهاي... أو غيرها من تجمعات البحث العلمي المرتكز على الإبداع والابتكار المستقبلي. ولا يخفى على أحد مشاركة صناعات القرار السياسي، الذين أجمعوا على أن البحث التكنولوجي «الرقمي» أو «النانو تكنولوجي» يعد، الآن، عاملاً للمنافسة والتقدم والازدهار، لهذا يتجه الإنفاق العام الكبير لصالح (R&D) البحث والتطوير العمومي والخصوصي، وهذا يعبر عن إجماع أيديولوجي يشترك فيه العلماء والمبتكرون والسياسيون.

والتقدم التنموي. ومنذ الثمانينيات من القرن العشرين، انتشر استخدامه وإدماجه (من خلال مروجيه من المستثمرين) وبناء على مفهوم شائع أطلق عليه اسم «حكومة العلم». كما تم التنظير له في العمل الأكاديمي، والتطبيع له من طرف الليبرالية الجديدة بحيث أصبح مفهوم الابتكار جزءاً متأصلاً في السياسة العامة، ويتضح من «النجاح الهائل لمفهوم» نظام الابتكار الوطني» (ص ٧٠) الذي أدخلته (OECD) منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في العام ١٩٨٠. وجاء هذا الانتشار دون أدنى انتقاد أكاديمي من طرف المتخصصين الأكاديميين، الذين كانوا يركزون على أمور أخرى مثل التقدم التكنولوجي، وتحديد جوهره «باعتباره حقيقة اجتماعية فعلية» (ص ٧٥).

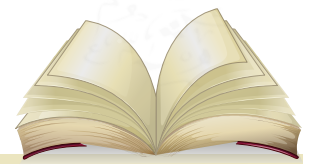
هذا الابتكار الذي يعطي قيمة لنفسه هو موضوع السياسات العامة التي استحدثت لغة جديدة. في الفصل الثالث يعكف الباحثان رونان لوروكس وجيروم لامي على كيان المجموعة، التي تستحضر إعادة هيكلة التعليم العالي باسم السعي لتحقيق الابتكار الذي يحمل الحلول السحرية للتوصل إلى بناء واقع أكثر فاعلية وكفاءة. لهذا؛ انتشرت لغة الابتكار وأدمجت في مسالك البحث والدكتوراه. هذا ما يلاحظه جان فرانسيس وجيرار جاجليو وأرنو سانت مارتان في الفصل الخامس. هذا التلقين لفكرة تنظيم المشاريع المقترحة لطلاب الدكتوراه هو «عملية إدارة فحوى الدكتوراه والعلوم التي لا تكشف عن أبحاثها»؛ وبالتالي فهي تنشر «أيديولوجية خالصة

دعونا نقول كل شيء بوضوح؛ لأن البعد النقدي الحاسم للكتاب ليس مكن اهتمامه الرئيسي. في الواقع، يعرف مصطلح «الابتكار» نجاحاً يجعله من الصعب فصله عن دلالاته الإيجابية بشكل كامل تقريباً. وأي مقارنة تعاكس ذلك تكاد تتأثر أو تفضل. في مقدمة الكتاب، يتم وضع مفهوم الابتكار من حيث المنظور بطريقة واسعة جداً تتجاوز بكثير معنى التكنولوجية الفائقة التي غالباً ما تكون محدودة من أجل تصور بديل يدعى «أيديولوجيا الابتكار» لإبراز علاقاته مع التحول الليبرالي الجديد للاقتصاد، وقربه من تقنية «الحلول الرقمية» أو علاقاته بتيارات فكرية معية في مجال الاقتصاد الذي تدعمه وتمكنه من الانتشار. على سبيل المثال، المنظور التاريخي للباحث غيوم كارنيو (الفصل الأول) يوثق لمفهوم الابتكار الذي يرافق المخترع/البطل من خلال سيرته الأخلاقية والاعتبارية التي توأمت التقدم الصناعي والتكنولوجي.

وقد أصبح مفهوم الابتكار مستخدماً على نطاق واسع في الأدبيات الأكاديمية. وليس من المهم أن نلاحظ أن هذا المصطلح قد أثبت نفسه بقوة في مجال الإدارة أو الأعمال التجارية أو الاقتصاد، قبل أن ينتقل إلى الابتكار التقني والعلمي. يخصص الباحثان جيروم لامي وأرنو سانت مارتان الفصل النقدي الثاني للخطابات العلمية المتعلقة بالابتكار العلمي والتكنولوجي منذ الخمسينيات، حينما حاول أن يظهر تأثيره الإيجابي استناداً للقيمة الاجتماعية للتكنولوجيا، وعلاقة الابتكار بالاقتصاد

وفي هذا السياق، يقترح الكتاب مسألة هذا الوضع المشترك والمخاطر الناجمة عنه عبر رحلة استكشافية نحو المياه العكرة للابتكار؛ وذلك من خلال تناوب منهجي على تقديم أربعة عشر تحليلاً. يجمع بين النقد والمقاربة للممارسات الابتكارية المتعددة التخصصات والتكنولوجيا الفائقة. وقد كشفت دراسة الحالات المختلفة المجمعة عن كل حالة على حدة أن هناك حالات غير معروفة. لهذا؛ يقترح الباحثون سبلاً جديدة للبحث، مستنديين في الوقت نفسه إلى معطيات بحثية واستبيانات أصبحت متوفرة بشكل وافٍ. ونتيجة لذلك، أصبح لدينا بانوراما نقدية وتفسيرية، ومعلوماتية وتربوية، قادرة على تغذية التفكير العام حول قضية الابتكار العلمي والتقني وكواليسه الفاضحة.

كان هذا الكتاب الجماعي ثمرة ندوة متعددة التخصصات حول الابتكار العلمي والتقني، التي جعلت رهانها العلمي الجمع بين المقاربة النقدية لمفهوم الابتكار الذي ازدهر بصورة فائقة وأيضاً القيام برسم خرائط لبعض استخداماته من أجل «إعادة صياغة موضوع مضخ، والتحقق من مكوناته وقابليتها لأن تتحول إلى مشكلة بحثية حقيقية» (صفحة ٢٠). ينتظم الكتاب في قسمين يتناولان الابتكار من حيث «وجوهه وتجلياته» ثم «وضعه وحالاته». يضم الكتاب أربعة عشر فصلاً هي مجمل مساهمات متخصصين يتساءلون عن استخدام المفهوم ودراسة الحالة المفكر فيها كنوع من التحقيقات حول أشياء توصف في عصرنا الراهن بـ«الابتكار».



بإدراج أنفسهم في خطاب واحد يدعي أن «الابتكار هو الذي سينقذ العالم»، الذي يحظى بشعبية كبيرة منذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. إذا كانت جميع العضلات والمواقف الفكرية العنوية من الابتكار لا يمكن تفكيكها في كتاب واحد، فقد اختار المشرفون على الكتاب «إيفان سانسوليو» و«أرنو سانت مارتان» أن يدرجا في القسم الثاني من الكتاب تحليلات جماعية لصيرورة وتطور الابتكار، من وجهة نظر التكنولوجيا (الفصلان ٨ و٧)، ولكن أيضا علاقته بالأسواق التجارية (الفصول ٩ و١٠ و١١) وارتباطه بمسألة الملكية الثقافية وبراءات الاختراع التي أصبحت معضلة العصر، وكذلك مشكلة هيمنة الإدارة البيروقراطية على البحوث الأوروبية أو الوطنية (الفصول ١٢ و١٣ و١٤).

وبهذا، يخصص القسم الثاني حيزا بحثيا مؤسسا لمعظم طروحات الكتاب حول الابتكار. ودون حتى معرفة مسبقة لما ستكون عليه النتيجة، أنشأ الباحثون تعاوننا بين المهندسين والباحثين في العلوم الاجتماعية. وبدل انتقاد تداخل أجهزة إدارة الابتكار المتعددة التخصصات والهجينة، سعى المؤلفون إلى تسليط الضوء على أساليب تصميم وتشغيل المشاريع والبرامج الحالية (الوطنية الداخلية والأجنبية الخارجية). وهذا يستجيب لخارطة الطريق المصممة للكتاب على مدار الفصول الأربعة عشرة.

وفي الأخير، يمكن القول إن الكتاب عموما مُقنع جدا. عندما ينتقد إدخال فكرة ضمنية عن الابتكار تفترض مسبقا المعيارية. كما يشجع على تكريس الابتكار في الأشياء المبتكرة؛ بحيث تصبح هي موضوع الدراسة والتحليل. ولتحقيق ذلك، ينبغي أن يمتد هذا التفكير إلى أبعد من العلم والتكنولوجيا ليطبق على الاستخدامات الأخرى مثل «الابتكار الاجتماعي». وبصرف النظر عن السياقات والأهداف المنشودة في الكتاب، فإن المقاربات سواء كانت بالمقارنة أو بالمقارنة بين التقاطعات المنهجية والمواجهات بين المواد البحثية هي التي تخلق أرضية مشتركة للأسئلة عن الابتكار العلمي والتقني ومشاكله العويصة والغامضة في عصر التنافسية العلمية والاقتصادية الشرسة التي ستتحول في السنوات القادمة، بحسب خاتمة الكتاب، إلى حروب تكنولوجية في مياه عكرة.

- الكتاب: «الابتكار في مياه عكرة: العلوم والتكنولوجيا والأيديولوجيات» (كتاب جماعي).
- المشرفان: إيفان سانسوليو وأرنو سانت مارتان.
- الناشر: منشورات كروكان، فرنسا - ٢٠١٧، باللغة الفرنسية.
- عدد الصفحات: ٣٣٠ صفحة.

* كاتب مغربي



الرابع)، وهو أمر غير معقول إلى حد ما. دون إرادة في التحديد الكمي، أو تفسير ذلك. وهذا أمر إشكالي في كتاب يستهدف نقد منظومة علمية يكتنفها الغموض والالتباس. وأكثر من ذلك هناك بعض المساهمات التي تستخدم مصطلح الابتكار دون احتياطات. وهذه هي الحال في الفصل العاشر المتعلق بالقرصنة التي تعتبر «ابتكارا مضادا» لأن هذه الممارسة تعطل نشر البرامج الخاصة الجديدة. وهنا يتعلق الأمر بمسألة تحديد إلى أي مدى، وبأي ظروف، يمكن صياغة أسئلة مستقلة علميا. ومتى ينبغي المخاطرة بإدراج تحليلات عناصر الخطاب المتحيز للابتكار والتوقعات الأيديولوجية لاقتصاديات الابتكار «المدمر» وروح المبادرة التكنولوجية العلمية. ومن شأن ذلك أن يخفضها إلى خطاب مصاحب، ومتعاطف وغير ضار خصوصا بالنسبة للمجتمع الليبرالي الجديد المقبل على التكنولوجيا الذي يمنح تصورا غامضا على أنه فعال وخلاق، لكنه في الحقيقة يغامر بظهور مخاطر جديدة. في الوقت الحالي تبدو ذاتية ويمكن تجاوزها، لكنها على المدى القصير ستعطي مجتمعا ليبراليا جديدا غير قادر على التحكم في التكنولوجيا وسرعة الابتكار والتنافسية العلمية التي ستطرح معضلات عويصة تتضارب فيها القيم وتنهار لتظهر قيم بديلة تدفع المجتمعات البحثية إلى ابتكارات معادية، وتحديات حاسمة.

إن منهجية الكتاب تسير في اتجاه خلق تعدد المقاربات. وبالتالي تصبح النتائج الأخيرة هي تقاطع لوجهات نظر مستقاة من (علم الاجتماع والتاريخ والعلوم التقنية والإدارية والقانون والهندسة والفلسفة) هذه الخيارات المنهجية والمقاربات الموضوعاتية هي مجال لمواقف محتملة بشأن سياسات الابتكار.

ونجد هذا الاختيار المنهجي إستراتيجية موحدة بين الباحثين في الفصول من الفصل الأول إلى الفصل السادس. بحيث لا يسمح الباحثون المساهمون فيها

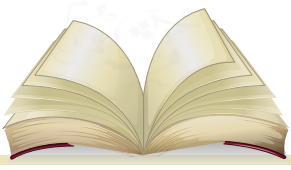
ومكتملة عن تداخل العلم والابتكار» (ص ١٤١-١٤٤). وفي سياقات أخرى مثل القانون، يمكن أن يسלט الشيء المبتكر الضوء على «فراغ قانوني»، ليصبح الابتكار موردا جدليا لتبرير تدخل المشرع (ميلاني كليمنت فونتين، الفصل الخامس). وكما يلاحظ سانت مارتن ولامي، فإن «هيكله الأنشطة العلمية والتقنية قد أعيد تشكيلها منذ الثمانينيات. إن الإشارة في هذا النظام الجديد إلى الابتكار العلمي والتقني موجودة في كل مكان، وسواء شئنا أم أبينا، فإنه يشكل في الواقع نشاطا محمدا، و...» وبالتالي لا بد من دراسته في جوهره» (ص ٨٥).

غير أن التحليل النقدي لا يمكن أن يستبعد تماما مصطلح «الابتكار» لأنه يوجد، على الأقل، في نتائجه وفعالته الأدائية. لكن هذا الأداء له حدوده. خلال دراستهم لبرنامج البحوث الأوروبية لمحاكاة الكمبيوتر مع الدماغ البشري الكامل لدراسة أدائه، أشار إيفان سانسوليو، موريل سورديز وإروان لامي، إلى أن وراء «العمليات التقنية والعلمية واسعة النطاق، يبدو أن الصناعات العلمية للقادة ستبقى هيكلية... أكثر من الوعود التي تدعي تغيير الحياة والمجتمع والاقتصاد» (ص ٢٨٥).

أما يانك مايفنيان ودومينيك فينك، وبعد رجوعهما لعدد من الوثائق، فإنهما يعتبران أن التنفيذ المركزي لمنصة البيانات الكبيرة في المركز الوطني للأبحاث العلمية الفرنسي، هو مصدر «الابتكار في العلوم الإنسانية والاجتماعية» وفي إطار «العلوم الإنسانية الرقمية». ويفسران أيضا الصعوبات التي يواجهها عدم تجانس الجمهور المستهدف بهذا الابتكار. وبعيدا عن التأثيرات الأدائية، يسهم التضيؤ أيضا في وصف التحولات في مجالات علمية معينة. وبالتالي؛ فإن الباحث ماكسانس غايارد يأتي في الفصل السابع بإضاءات غنية عن التحولات المعرفية والعلمية التي تحدث في مجال علوم الإدراك من خلال إدخال تقنيات التصوير الدماغية والعصبية. وقد فرضت هذه التقنيات نفسها في غضون سنوات قليلة؛ مما أدى لتفادي بعض الفروق، لا سيما استقلالية علم النفس فيما يتعلق بعلم الأعصاب.

وإذا كانت دراسات الحالة تعكس غموض الظواهر المصنفة تحت مصطلح هندسة الابتكار المتغير، فإن المساهمات المختلفة حول موضوع الابتكار غير متكافئة. ولا شك أن الفصل العام الذي كتبه سانت مارتن ولامي يمثل مجالا مهما في التفكير. وبالمقابل، فإن بعض دراسات الحالة ترسم خطوطا مثيرة للاهتمام للتفكير، خاصة تلك التي تهتم بدور المستخدمين في الابتكار، لكنها في الغالب لم تتوقف في ذلك نظرا لخلفياتها الإيديولوجية وتواطؤها مع المستثمرين.

وهذه هي الحال بالنسبة لنتائج الدراسة الاستقصائية عن تصورات الطلاب للابتكار، التي أجراها استبيان في مدرسة واحدة فقط خاصة بالتجارة (الفصل



موت أوروبا الغريب: الهجرة.. والهوية.. والإسلام لدوجلاس موراي

فينان نبيل *

«الموت الغريب لأوروبا» قصة قارة توشك على الانتحار عمداً أودون قصد، الكتاب ليس مجرد تحليل للحقائق الديموغرافية والسياسية، بل هو أيضاً قراءة شاهد عيان لواقع قارة في وضع التدمير الذاتي معتمداً في ذلك على السفر عبر القارة بأكملها، (برلين وباريس والدول الإسكندنافية وامبيدوزا واليونان)، لسماع قصص أولئك الذين وصلوا إلى أوروبا من بعيد. والتوغل في القضايا الأعمق التي تجعل من زوال القارة أمراً ممكناً، سواءً الهجمات الإرهابية الجماعية، أو التآكل المطرد للحريات، الفشل المخيب للأمال في إدارة التعدد الثقافي.

افتتح موراي كتابه بعبارة صارخة هي «أوروبا تنتحر»، متهماً قادة أوروبا وساستها بمشاركة الإعلام أنهم جروا الشعب تجاه طريق الإبادة الإثنية والعرقية، ويذكر عدداً من العوامل في أوروبا تسببت في قبول ساكني أوروبا الأصليين «ظاهرياً» لفكرة «التعدد»، من هذه العوامل، فقدان أوروبا الإيمان بمعتقداتها وتقاليدها وشرعيتها، مع تنامي الشعور بالذنب الذي نما في تربة خصبة على خلفية «الهولوكوست»، يصرح موراي «إن أوروبا باتت تشعر بشدة بالذنب تجاه ماضيها أكثر من أي قارة أخرى في العالم اليوم»، ويعتبر هذه الحالة بحد ذاتها أزمة حضارية، وأن مصير أوروبا محضوف بالمخاطر بسبب زيادة التدفق الجماعي لغير الأوروبيين، تحت سياسة الإعفاء الاجتماعي الحالية وتصنيف أوروبا كوطن لكل من يطلب ذلك وليس للأوروبيين وحدهم، خاصة من هؤلاء الذين استولت أوروبا على أراضيهم تاريخياً.

وهو النوع الذي لا يزال شائعاً في اليمين. قدم موراي أمثلة للنقوص اليهودي، فيشير إلى «باربرا روش»، «من أصول يهودية شرقية»، كمهندسة رئيسية للدولة «متعددة الثقافات» تحت قيادة «توني بلير» وأنها لقيت كل منتقديها «بالعنصريين»، وبعد عشر سنوات من إصلاحات الهجرة المؤثرة للغاية، قالت روش في إحدى المقابلات: «أحب التنوع في لندن»، ومثالا آخر لدور اليهود هو الأكاديمي اليهودي، الروائي، والصحفي «ويل سيلف»، الذي اعتبر الهجرة نوعاً من الزخم الثقافي، قال سيلف لجمهور هيئة الإذاعة البريطانية: إن أولئك الذين يعارضون التعددية الثقافية «عنصريون يكرهون الناس، وخاصة أصحاب الجلود السوداء والبنية».

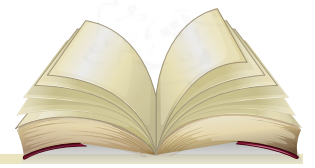
فشل موراي في إيجاد علاقات منطقية بين العوامل المختلفة، فنجد تارة يصورها بأنها بدافع «الانتقام» المتأصل البلدان التي احتلتها أوروبا، وهو ما يبدو متناقضاً مع أطروحاته «الانتحارية»، فيقول «إذا كان الانتقام» حافظاً جزئياً للتحويل الأخير لبلدنا، فإن ما نمر به ليس حادثاً، أو مجرد تراخ بل عمل تخريبي داخلي ومتعمد.

يشير موراي في الفصل الثالث بعنوان «الأعداء التي قلناها لأنفسنا». وهو امتداد موسع للمبررات الواضحة للتعدد الثقافي الذي «أقنع به الأوروبيون أنفسهم. إلى أن الشعوب الأوروبية، جميعها، قد تغذت لعقود من الزمن على أكاذيب وحجج باطلة حول «التعددية الثقافية»، منها، أن أوروبا تعاني من «مرحلة الشيخوخة»، وأن «الهجرة لها منفعة اقتصادية»، وأنها

١٩٤٨ للوافدين، وقانون الكومنولث سمح بأول موجات الهجرة من أفريقيا والهند لدخول بريطانيا تحت حجة سد النقوص في الأيدي العاملة، وبين عامي (١٩٤٨-١٩٥٢) دخل حوالي (٢٠٠٠) من السود إلى بريطانيا، وبحلول عام ١٩٥٧، ارتفع الرقم إلى (٤٢٠٠)، وكشفت التقارير الحكومية أن فكرة أن السود كانوا يساعدون في سد النقوص في اليد العاملة لا تستند إلى أساس سليم. ففي تقرير عام (١٩٥٣) لموظفي الخدمة المدنية أكدوا فيه، أن السكان الجدد يجدون صعوبة في تأمين فرص العمل ليس بسبب تحامل البيض عليهم، ولكن لأن الوافدين لديهم «مخرجات منخفضة»، وتتسم حياتهم بعدم المسؤولية «والبطء العقلي»، وأن الرجال السود أكثر تقلباً في المزاج من البيض، وعدم الانضباط، وأكثر إثارة للعنف، ويفتقرون القدرة على التحمل، ولا يصلون إلى المعايير المطلوبة من قبل أرباب العمل البريطانيين.

في عام ٢٠١٤ أثبتت الأبحاث في السياق التاريخي لقوانين العلاقات العرقية، أنها ليست قوانين عارضة أو تشريعات مخصصة، بل كانت هذه القوانين جزءاً من تقليد طويل من محاولات اليهود لتغيير التركيبة العرقية لبريطانيا والتحرك نحو حظر «التشهير الجماعي»، يدرك موراي تماماً أن المنظمات اليهودية تشكل عنصراً هاماً من عناصر القوى الموالية للهجرة، قائلاً «إنه يصدمني حقا اكتشاف أن العديد من الجماعات اليهودية والقادة اليهود أخذوا يؤدون دوراً بارزاً في الترحيب باللجئين»، يبدو أن موراي وضع نفسه في نمط الفلسفة المعادية للإسلام - والسامية -

يدحض موراي في كتابه أكاذيب تدعي أن أوروبا تتقدم نحو مستقبل أفضل، واختار فترة عشر سنوات ما بين (٢٠٠٢-٢٠١٢) وهي فترة تدفق الملونين (غير البيض) إلى لندن، فقد أصبح «البيض» أقلية في لندن، وأصبحت «إنجلترا وويلز» موطناً لثلاثة ملايين مهاجر إضافياً، لا يتحدث شخص بالغ منهم الإنجليزية. وتضاعف عدد المسلمين من «١,٥ مليون» إلى «٢,٧ مليون» بين عامي (٢٠٠١-٢٠١١) دون أخذ تعداد المسلمين من الهجرة غير الشرعية في الاعتبار، وهم يشكلون العنصر الأكبر منها، يرى أيضاً أن الشعب البريطاني «تغير تماماً» وأنه بحلول ٢٠١١، أصبح مختلفاً جذرياً عما كان عليه لعدة قرون، وعبرت ردود الفعل السياسية والإعلامية عن هذه التغيرات السكانية بنبرة واحدة هي «الاحتفاء»، فالسياسيون والصحفيون اصطفوا للدفاع عن زيادة التنوع، وصفقوا لتعدد الثقافات على اعتبار أنه لم يكن شيئاً جديداً، وروجوا لأكاذيب أن بريطانيا والدول الأوروبية كانت دائماً «متنوعة»، وهو ما يرفضه «موراي»، مشيراً إلى أن الألفية السابقة تحديداً في الفترة ما قبل (١٩٥٠)، احتفظت بريطانيا بثبات سكانها بشكل غير عادي، فقد كان أهم تدفق في الجزيرة البريطانية خلال الألفي عام الماضيين من «السكسونيين»، و«النورمان»، و«الإيرلنديين»، وكلهم يتبعون غرب أوروبا وأبناء عمومة البريطانيين وهناك تقارب جيني معهم، هذه الطبيعة الثابتة لبريطانيا تم تدميرها مؤخراً مع سلسلة الإجراءات التي دفع بها البرلمانيون بشكل متسارع دون التشاور مع الجمهور البريطاني، فقد مكن قانون الجنسية البريطاني



يكون «نازية معاصرة»، ولكن هذه الفترة التاريخية الخاصة هي مجرد جذر، وقد نشأ عنه العديد من الفروع. «فالأوروبيون اليوم ينظرون لأنفسهم، أكثر من أي شعب آخر أنهم يحملون ذنوباً تاريخية محددة التي تشمل ذنب الحرب، وذنب المحرقة». يقول موراي: «لقد كان الشعور بالذنب الأوروبي مفيداً للغاية لأعداء شعبنا» وأن تضمين فكرة الخطيئة الأصلية في أي أمة هو أفضل وسيلة ممكنة لتوليد الشك الذاتي».

يحاول موراي تقديم بعض الاقتراحات لسياسات قد تساعد أوروبا في البقاء على قيد الحياة مثل «الترحيل، والتحويلات الثقافية، وتجريم التشهير بالأمم كما هو الحال في بلدان مثل تركيا»، ولكنه كان واقعياً صريحاً حيث قال «إنه يضع هذه المقترحات في مجال التمني». يرى موراي أنه بحلول منتصف هذا القرن، في حين تظل الصين والهند، وروسيا، وأوروبا الشرقية كما هي، وأوروبا الغربية في أفضل الأحوال تشبه الأمم المتحدة على نطاق واسع، لن تكون هناك أوروبا طالما أن سياساتها وإعلاميتها مقتنعون أن وطنهم مدين للبشرية - ديون لا يمكن أن تدفع إلا من خلال إنكار الذات.

الكتاب يعد تحذيراً هاماً بشأن تدهور الشعوب الأوروبية؛ يقدم موراي رؤيتين لأوروبا الجديدة -إحداهما متناقضة - ترسم صورة لأوروبا في أزمة وتقدم خياراً لما يمكن أن تفعله، فيؤكد أن الثقافات والمجتمعات الأوروبية من أجل النهوض عليهم الاعتماد على أنفسهم، مع التركيز بشكل خاص على السلبيات، والثانية متشائمة تتبنى مقولة شبنجلر أن «الحضارات مثل البشر يولدون، يزدهرون لفترة وجيزة، ثم يموتون ويتحللون».

يأتي كتاب «الموت الغريب لأوروبا» في وقت تحتاج إليه الثقافة الأوروبية، بالتركيز على آثار الهجرة الجماعية المستمرة من أفريقيا، والهند وشبه الجزيرة الهندية، والشرق الأوسط. الكتاب لا يساعد في تأسيس المستقبل، ولكنه يساهم في فهم الماضي، ويؤكد بطريقة واضحة أن أطروحة التعددية الثقافية محكوم عليها بالإعدام في أوروبا، وقد يدق الكتاب ناقوس الخطر من تنامي تيار فكري يرفض الهجرة الجماعية لأوروبا ويعكس «عنصرية» تجاه تيارات الهجرة من المسلمين، تظهر بين الحين والآخر في صورة أحداث عنف تجاههم وإن كانت أحداث فردية.

المؤلف: دوجلاس كير موراي مؤلف بريطاني وصحفي ومعلق سياسي. وهو مؤسس مركز التماسك الاجتماعي.

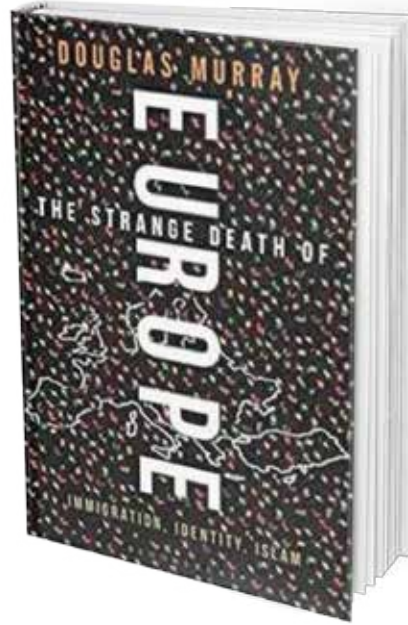
الكتاب: «موت أوروبا الغريب: الهجرة، والهوية، والإسلام».

المؤلف: دوجلاس موراي.

الناشر: اكسفورد-لندن-2017.

اللغة: الإنجليزية

* كاتبة مصرية



قبل العصابات المهاجرة. وتقارير الشرطة والحكومة المحلية، حول الاعتداء الجنسي على الفتيات الأوروبيات احتل فيه المهاجرون مركزاً متقدماً بلا منازع لسنوات. يرى موراي أن مصطلح «التعددية الثقافية» قد يفهم بين قطاعات واسعة من الجماهير على أنه موقف «مهدب» لا يمنح الناس من خلفية ثقافية مختلفة أن تعيش في بلادهم، ويدعمون التعدد الثقافي وفقاً لهذا التعريف، بينما هناك طبقة أعمق من الخونة والمخربين تنشر أن «التعددية الثقافية» هي أن يكون «مستقبل المجتمعات الأوروبية بوتقة انصهار كبيرة»، حيث يذوب الأوروبيون البيض باطراد في النسيان». في حين أن الجماهير الأوروبية تعتقد أنها تتبنى التعريف الأول، يعمل هؤلاء على تعزيز الثاني، فهو يرى أن هناك تلاعباً خفياً، وأن التعددية الثقافية هي عدوانية ومكافحة لأوروبا، مستشهداً بما كتب الفيلسوف والسياسي الأمريكي صمويل هنتجتون «أن التعددية الثقافية في جوهرها مناهضة لنهضة الحضارة الأوروبية. إنها في الأساس أيديولوجية مناهضة للغرب».

فحتى عندما تكون الدول منفتحة وتشجع الهجرة الواسعة النطاق إلى حد «الانتحار»، فإنها على الرغم من ذلك تُصور على أنها بلدان عنصرية، ويمثل لذلك بوزيرة التكامل السويدية، «منى ساهلين»، التي تحدثت في مسجد كردي في عام 2004 لجمهورها قائلة «إن العديد من السويديين كانوا غيورين منهم لأن الأكراد لديهم ثقافة وتاريخ غني وموحد، في حين أن السويديين لم يكن لديهم سوى أشياء سخيفة مثل مهرجان ليلة منتصف الصيف».

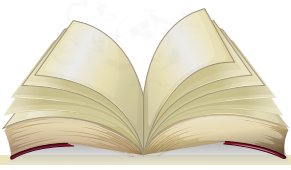
أصل موراي لجذور كراهية النفس وطغيان الشعور بالذنب «عنوان الفصل العاشر» مسلط الضوء على أهمية التمثيل التاريخي والثقافي من (1930 - 1940) في تعزيز الشعور بالذنب بين الأوروبيين، مما أدى في نهاية المطاف إلى إصرار «أن أوروبا ليس لديها أي خيار سوى أن تقبل كل شخص يريد أن يأتي، وعدم السماح بذلك

تجعل المجتمع «أكثر ثقافة»، وأن العولمة تجعل الهجرة الجماعية أمراً لا مفر منه ولا يمكن وقفه، وفند هذه الادعاءات بشكل ثاقب وموجز، مستعينا بمجموعة من الإحصاءات ليثبت أن المهاجرين يشكلون عبئاً ضخماً على الموارد المالية الوطنية، وأن الإحصائيين الحكوميين يقومون بتدوين أرقامهم من أجل إنتاج روايات مسيسة عن التقدم الاجتماعي، ويقول موراي، «إن الهجرة الجماعية كلفت الشعب البريطاني حوالي (160 مليار جنيه إسترليني) بين عامي (1990-2011)».

يرى أن الحجّة القائلة بأن «أوروبا في مرحلة الشيخوخة» وتحتاج إلى تدفق من الشباب تحتاج معالجة دقيقة، مشيراً إلى استطلاعات الرأي التي تشير إلى أن الأوروبيين يريدون أن يكون لديهم المزيد من الأطفال ولكن يجدون صعوبة بسبب الضغوط الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، ويضيف موراي أن التعددية الثقافية نفسها لها تأثير محبط على رغبة الأوروبيين في إنجاب أطفال لأن ذلك يقلل من الشعور بالأمن، ويجعل الأزواج أقل تفاؤلاً بشأن المستقبل، حتى لو كان ذلك على مستوى «اللاوعي». ويرى أنه على الحكومات الأوروبية أن تعالج مشكلة انخفاض معدلات المواليد بشكل يبتعد عن السطحية، وأن تضع سياسات تشجع على الإنجاب. خلص موراي إلى أن أوروبا لا تعاني من نقص في اليد العاملة، بل إنها تواجه مشكلة مع الشباب «المتعلمين» الذين ينظرون إلى العمل اليدوي نظرة متدنية، ويعرض حلاً لمشكلة السن المزعومة في أوروبا، بدلاً من استيراد سكان جدد، هو التحول إلى سياسات تشجع التكاثر والأسرة، وإعادة تعليم شبابنا بعيداً عن توقعات الحياة المادية المفرطة.

وحول الحجّة القائلة إن «التنوع» يثري الثقافة الأوروبية» فهو يرى أن ذلك يعني أن «المجتمعات الأوروبية هي أماكن مملّة ولا يطرّفها الكثير، على الرغم أنه في الواقع، تمتلك أوروبا «انتشاراً قائماً بالفعل للغات والثقافات وحتى المأكولات الأوروبية». كما أننا نستطيع أن نتعلم عن الثقافات الأخرى عن طريق السفر إليهم، وليس «بتشجيع العالم على أن يأتي إلينا».

يفند موراي مغالطة أخرى هي الإيحاء بأن «قيمة المهاجرين تتزايد مع تزايد أعدادهم» فيقول إنك لو تناولت طعاماً تركياً مرة كل عام لن يضيف إلى قيمته شيئاً إذا تناولته ألف مرة، كما يقول إن هناك 100000 صومالي وباكستاني يدخلون أوروبا سنوياً وهذا لا يعني أنهم يضاعفون الإثراء الثقافي 100000 مرة، ويضيف إذا كانت أوروبا قد تعلمت بالفعل من المطبخ الهندي واكتسبت ما تريد اكتسابه، فلا حاجة إلى الاستمرار في استيراد المزيد من الهنود إلى مجتمعنا من أجل استمرار التمتع بالطعام الهندي. ولعل حجة موراي الأكثر قوة ضد فرضية «التلاقح الثقافي» هي تعليقه الموسع على جرائم المهاجرين، المنتشرة في جميع أنحاء الكتاب فهو يلقي الضوء بشدة على ما ينشر في الصحف، من حالات الاستغلال الجنسي الجماعي من



«تحدي الإسلام: التقاربات المسيحية».. لكلاوش فون شتوش

رضوان ضاوي *

يعتبر البروفيسور «كلاوس فون شتوش» أهم ممثلٍ لدراسة الأديان المقارنة في ألمانيا، وهو أستاذ اللاهوت في جامعة بادربورن، ويعمل بشكلٍ وثيقٍ مع علماء مسلمين وشخصياتٍ يهوديةٍ على مشاريع بين-دينية؛ ويعد كتابه (تحدي الإسلام، التقاربات المسيحية) من أهم الكتب التي طرحت انشغال اللقاء بين الديانات (الإسلام والمسيحية) الذي غفل عنه الكثيرون وهو موضوع في غاية الأهمية، بهذا المعنى يريد «شتوش» من خلال هذا الكتاب الدعوة إلى اللقاء مع الإسلام. باعتبار هذا اللقاء يمكن أن يساهم في إعادة اكتشاف الآخر، وفي فهم عميق للتصوص الدينية والسنية. إذن هذا الكتاب لم يكن ليكتمل لولا التبادل العلمي مع الأصدقاء المسلمين في مركز اللاهوت المقارن، وقسم علوم الثقافة في جامعة بادربورن، حيث قاموا بتزويد الكاتب بمعلومات قيمة، وساعدوه بصفته مسيحيًا. إنه عرض مميز للإسلام من خلال «الإدراك المسيحي» الذي يحاول دائمًا أن يقوي نفسه بالأصوات المسلمة.

كما جاء كتاب «الله جميل» لـ«نافيد كرماني» باعتباره أفضل عمل يعالج فيه الكاتب خطوة مهمة تهدف إلى إعادة بناء مطلب الوحي الإسلامي جماليًا. ولقد عمل الكاتب على تلقي القرآن والتعرف عليه جماليًا، وأوضح أنه بينما أرسل الله المسيح إلى شعب له دراية بالعلوم، من فلسفة وطب، وتوجب عليه تجاوز هذه الفنون في عصره بمعجزة إحياء الموتى، إلا أن النبي محمد جاء في عصر كانت فيه الفصاحة واللغة أكثر شيء يجلب الفخر، لهذا كانت معجزته جماليةً ولغويةً وبلاغيةً متمثلة في القرآن الكريم.

تقدم المسيحية نفسها على أنها ميزان للتنوير، ويتم تقديم الإسلام في الغالب على شكل صفحة سوداء ظاهريًا في الثقافة الأوروبية خاصة حين يتحدثون عن صورة الله. وإله المسلمين- هكذا في اللاهوت المسيحي- هو إله آخر مختلف عن الإله المسيحي.

فرغم مسلمات المسيحيين والمسلمين المشتركة، بأنه لا يوجد سوى إله واحد، يأتي الإدعاء من اللسان المسيحي بأن المسلمين يجلون الرب الذي لا صبر له على الغيرية، وهو متخلف في حتميته وفي وحدانيته وسالب لاستقلالية وحرية البشر. والله لا يقبل أي تنوع ولا يترك أي مساحة خاصة للإنسان، فالإسلام يميل إلى نفي التنوع. إنه دين لا يريد أن يتصالح مع الفكر الغربي ولا مع القيم الغربية.

ويقول «شتوش» إن مسألة التالوث المقدس عند المسيحيين تبدو من المحرمات عند المسلمين، الذين يؤمنون أشد الإيمان بوحدانية الله. حين ينتقد علماء اللاهوت المسيحيون جوهر الله عند المسلمين، الذي لا يمكن بصفته تلك التي رسمها المسيح ربط علاقات مع البشر، وهي حجة على تفوق المسيحية، لأن الإسلام يعجز بهذا الفهم عن رؤية صفة المحية في الله، وبدل ذلك لا يكون هناك مكان للتعدد في الله من الناحية الفقهية.

لكن «كلاوس فون شتوش» يرى في تعدد أسماء الله الحسنى ومجبتها على شكل أضاد مثل: «الأول»/ «الأخر»، و«الظاهر»/ «الباطن»، في هذا معادلاً في الإسلام وسبيلاً للمسلمين يدركون من خلاله التعدد في الوحدة. وردًا على اتهام المسيحيين رب المسلمين بافتقاده للمحبة، وبأن إله المسيحيين ضحى بنفسه عندما تجسد بشرًا لكي

أكاديمية برلين - براندينبورج العلمية، مما يعبر عن تعايش أصيل وحواري بين الأديان. فجوهر الحوار الإسلامي المسيحي اليهودي هو دراسة المسلم للإنجيل بعهديه القديم والحديث، إلى جانب التوراة، ودراسة النصرايين واليهودي للقرآن الكريم دراسة صحيحة. وستكون ثمرة حوار طويل على مدى سنوات طويلة، ولقاء مع اليهود والمسيحيين والمسلمين من أجل التعرف على الممارسة الدينية الحقيقية للشركاء تحت شعار: «احك لي عن دينك وعن روحانيتك».

ويرى «كلاوس فون شتوش» في علاقة المسيحية بالأديان ضرورة و«تحديًا أكبر على الإطلاق للاهوت المسيحي»، فهي «تعزز الجوانب المسألة في الأديان ومن واجبه أيضًا أن تساهم في تحديدنا لهوياتنا من خلال الحوار مع الآخر لا من خلال الانعزال والابتعاد عنه».

وأساس هذا الحوار المستمر هو إمكانية تعلم المسيحيين من أربع تظاهرات للجمال في خطاب الله، وهي:

مظاهر الجمالية في الخطاب القرآني باعتباره نصًا جمليًا، وهو جانب مهم في قراءة الإنجيل عند المسيحيين.

شفافية القرآن، أعجب الكاتب بشفافية القرآن، وتلاوته المستمرة مما يضمن له حضورًا محيّنًا.

حوارية القرآن، من خلال الحوار وخطاب الله إلى البشر، والنقاشات القرآنية بين المؤمنين والكفار.

الرد على خطاب الأديان القديمة الموجودة. جاءت أهمية هذا الكتاب من كون الدراسة قام بها عالم دين لاهوتي مسيحي. ويناقش الكتاب إمكانية فهم القرآن انطلاقًا من أبعاده الجمالية. حيث يعتبر التفسير الجمالي واعداء، ويفتح العلاقة بين الوحي والعقل الذي يتحرك في تناغم مع التقليد الإسلامي.

فالجمالية هي مفتاح لفهم الإسلام، والجديد الذي جاء به الكاتب هو تجريب الإبدال الجمالي على أهم عناصر أماكن الإيمان الإسلامي: عن الصورة الإلهية، وعن صورة النبي، وعن المواضيع الحساسة، مثل ارتداء غطاء الرأس. وكانت «أنه ماريشيمل» قد أكدت في العديد من الدراسات القيمة على شاعرية وجمالية الخطاب الإسلامي، والتأثير النفسي لأشكال مختلفة للتعبير الذاتي الإسلامي.

ويمكن توزيع فصول هذا الكتاب المرجعي «لكلاوس فون شتوش» إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول (الفصل 1-2)، يعرض فيه «شتوش» تاريخ نشأة القرآن من منظور نقدي تاريخي، حيث ذكر فيه أهمية القرآن عند المسلمين، ونشأة القراءات المتعددة له. كما تحدث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وسيرته، ومدى إعجاب المسلمين بشخصيته، وتحدثت بإسهاب عن مسألة ارتياب الغرب للنبي، وقد اجتهد في رسم سيرة النبي بوحي واضح فاستعمل الاسم: «Muhammed» الذي يستعمله شركاؤه المسلمون الناطقون بالألمانية.

وجاء القسم الثاني (الفصل 2-6)، ليقدم لنا دراسة لصفات الله المتنوعة، كما خصّ فيه بالتفسير لصفة الرحمة، وأركان الإسلام الخمسة، وعلاقة الإسلام بالحقوق والحرريات والعدالة، وعلاقة الديانات التوحيدية بالعنف، فمثل لهذا

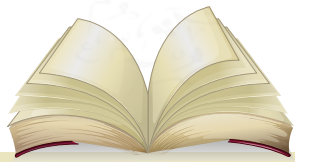
بآيات ضد العنف في القرآن الكريم.

أما في القسم الأخير (الفصل 7)، فقد تناول فيه الكاتب العلاقة بين المسيحية والإسلام من منظور مسيحي، وكيف ورد المسيح في القرآن في السور المكية والمدنية.

أما بالنسبة لأهمية هذا الكتاب فهي تكمن في طرحه لمجموعة من الأسئلة الجوهرية أثبتت عليها أطروحة الباحث الألماني «شتوش» وتعنى بشكل واضح ومباشر على التقارب بين المسيحية والإسلام.. وهذه الأسئلة هي:

- هل القرآن؛ كلمة الله موجهة أيضًا للمسيحيين؟
- هل محمد هو نبي مرسل أيضًا إلى المسيحيين؟
- هل تؤمن (نحن المسيحيون) والمسلمون بالرب نفسه؟
- وهل نغامر (في ألمانيا) بمزيد من الشريعة؟
- وما الذي يمكن للمسيحيين أن يتعلموه من القرآن؟

استعان الكاتب بعبارة كارل ماركس «اللحظة تحدد الوعي»، ليذكر مسلسل شيطنة المسيحيين اليوم للقرآن، وللنبي محمد في أوروبا، فقد بدأت حملة مسعورة على الإسلام في فترة ما بعد انهيار جدار برلين. وجاءت هذه الشيطنة من منبعتين هما: المسيحيون الذين يعلنون معاداتهم للإسلام، والمسلمون المتشددون الذين يدعون دفاعهم عنه، في هذا الإطار ازداد الاهتمام المسيحي بالإسلام، فتم إنشاء قسم يعنى بعلوم القرآن الكريم ودراسته بشكل صحيح في



رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ففي أكثر من مائة آية بالقرآن يوجد فيها ذكر المسيح، والنصاري، وهناك من اعتنق الإسلام من النصاري بسبب توضيح القرآن الكريم عن النصرانية، ونفيه نبوة المسيح بشكل دقيق وواضح للغاية، وعلى النصاري فهم القرآن الكريم من الإنجيل ومن المسلمون حتى يكون للحوار الإسلامي مفهومه ويتحقق هدفه الذي يكمن في التعايش السلمي .

يعطي الكاتب قيمة كبيرة لـ: «حوارية القرآن» التي تحيل على تعدد دلالات النص وفتح إمكاناته اللانهائية، وهي علامة مميزة للإسلام. وبما أنه كاثوليكي مسيحي يعمل بجد على الاقتناع بقوة اللاهوت المسيحي، كما يحاول أيضا إظهار الجانب القوي والصفحات المثبتة من اللاهوت الإسلامي. وبناء على ما تقدم يتبين لنا أن «شتوش» كان حريصا في تعامله مع الإسلام في إطار انتباه وحرص مليء بالحب.

من خلال هذه القراءة يمكن أن نستنتج أن المسيحيين يمكنهم أن يتعلموا مع المسلمين من خلال محاولة «كلاوس» في كتابه (تحدّي الإسلام، التقاربات المسيحية) رفع المشترك الديني والثقافي الموجود بين الإسلام والمسيحية على ضوء النقاش الموجود في ألمانيا عبر تكريم مسيحي للإسلام. ويتمنى الكاتب أن تساهم هذه الدراسة في تغيير الحوار حول الإسلام في ألمانيا، وأن نتعلم الاعتراف بحفظ اللقاء التفاعلي ما بين-الديني، وفتح باب المساعدة في تغيير صورة الظهور للإسلام في الحاضر بشكل مختلف؛ فهذا الكتاب موجه لكل ارتياح، ويطور وجهة نظر ثالثة حول ثقافة الديانات. ويمكن له أن يفتح لنا آفاقا مستقبلية حول الثقافة المعاصرة عن الإسلام، فهدف هذا الكتاب هو منح الإسلام قيمته الحقّة.

ويمكن أن يكون هذا الكتاب خطوة مهمة على طريق إدماج وتدرّيس الإسلام والقرآن في النسخ المسيحي، من خلال دراسات الأديان المقارنة التي تبحث عن طرق ينجحها المسيحيون لتمكّنهم من تقدير قناعات دينية أخرى، فدراسة الأديان المقارنة هي «منارة راشدة في عالم الأديان».

وانطلاقا من وجهة النظر هذه، يريد الكاتب تقديم عمل مختلف يعتمد على التنوع، ويريد التركيز على الفروقات الموجودة بين الإسلام والمسيحية على مبدأ «الملك لير»: «أنا سأعلمك الاختلافات»، وقد عمل الكاتب على إظهار هذه الفروقات من أجل توسيع مدارك الثقافتين، إلى درجة أن هذا التمايز يقدم عملية تعليمية مهمة، وينصح بـ: «عدم طرح سؤال عما إذا كنا نؤمن بالرب نفسه، بل كيف تلتقي صورنا عن الله مع بعضها البعض».

وعلى العموم يريد الكاتب الدعوة إلى لقاء مكثف بالإسلام من خلال الفهم والتعلم المتبادل، وأيضا المشاركة في الممارسة الدينية. وبهذا ننصح الجميع بقراءة هذا الكتاب وترجمته إلى اللغة العربية، خاصة المسيحيين، الذين يريدون أن يفهموا الإسلام ويبحثون عن حافز للحوار بين-ديني، وعقد صداقات مع مختلف معتقدي الديانات الأخرى، من أجل إثراء إيمانهم الإنساني، كما ينصح بذلك الكاتب قراءه.

الكتاب: «تحدّي الإسلام، التقاربات المسيحية». الكاتب: كلاوس فون شتوش.

الناشر: فرديناند شونينغ، بادربورن، 2017.

لغة الكتاب: اللغة الألمانية.

* باحث في الدراسات المقارنة - الرباط، المغرب



القارئ أن أهم موضوع للبحث في اللاهوت المقارن هو «المسيح في القرآن»، فقد تم ذكره في أكثر من 100 آية قرآنية. وهنا يفتح الكاتب مسارا مسيحيا غنيا بالمعارف مفصلا فيه، يربط رؤى تاريخية مع تجارب اللقاءات الشخصية.

أراد «كلاوس» إعادة فتح النقاشات عن وضعية القرآن في اللاهوت المسيحي، حيث يأخذ بعين الاعتبار الفروقات الكبيرة، ويعترف في الوقت نفسه بالمشترك؛ وبالتالي هذا الكتاب هو موجه لكل ارتياح، يمكن له أن يفتح أعيننا في نقاشاتنا الثقافية المعاصرة عن الإسلام. وينظر الشرق والغرب، والإسلام والمسيحية، إلى تاريخ متبادل ومشترك: تاريخ من الحروب، ومن التجارة، وتاريخ من التبادل في العلم والثقافة.

وقد تبلور هذا التاريخ مع الحروب الصليبية الدينية في القرن 11/13، والتي كانت لها أهداف اقتصادية واستراتيجية موجهة ضد الدول الإسلامية في الشرق الأوسط. وعلى العكس من ذلك عملت الإمبراطورية العثمانية في ميلها إلى الغرب وجنوب أوروبا، حتى أسوار فيينا، وشواطئ إيطاليا، وإسبانيا، والبرتغال، على التأثير على «الغرب الإسلامي» وكسر شوكتها.

وكرمز لطالب الكاتب الملح، من منظور غربي، كنيسة آيا صوفيا في اسطنبول، فقد كانت الكنيسة (بنيت سنة 532م) مركزا للدين المسيحي وكاتدرائية، ثم تحولت إلى مسجد على يد السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية. ويجمع هذا المبنى بين العمارة البيزنطية والزخرفة العثمانية. ولم يأمر السلطان بإزالة رسومات الموزاييك الموجودة بداخلها حفاظا على مشاعر المسيحيين، وما زالت الرسومات موجودة حتى الآن. بينما لا يتوانى الحكام المسيحيون في محاربة تأثير الإسلام في أوروبا، وتحويل المساجد إلى كنائس.

يرى «شتوش» أنه من يعتقد بأن الإسلام ليس جزءا من ألمانيا، فهو يؤكد بأن المسيحية هي أيضا ليست جزءا من ألمانيا وأوروبا، ويؤكد على جهله بالمسيحية والإسلام. لأن أوروبا لم تقتبس تقاليدنا من التأثير اليهودي عليها، فاليهودية في ألمانيا لم تساهم بنشر الحضارة والعلوم بمثل ما نشره المسلمون، وأوروبا اقتبست من الإسلام ثقافتها وعلومها.

واعتبر «فون شتوش» القرآن الكريم مرجعا للنصاري، فمن يريد معرفة حقيقة المسيح عيسى بن مريم فعليه قراءة القرآن الكريم، فالمسيح ذكر بالقرآن أكثر مما ذكر فيه اسم

ينشر المحبة، يذكرنا الكاتب بـ: دراسة «محمد خورشيد» أستاذ التربية الدينية الإسلامية في جامعة مونستر، الذي تحدث عن وصف الله نفسه بالرحمن أو الرحيم. فقد قال «محمد خورشيد» إن «رحمة الله لا توجد في كلمته التي جاءت في القرآن وحسب بل وفي الخلق نفسه أيضا»، وهذا يعني أن الرب موصوف بالمحبة بالمفهوم المسيحي، وبالرحمة بالمفهوم الإسلامي.

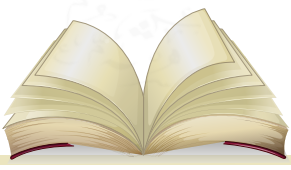
وبخصوص مسألة الشريعة، فإن الكاتب «كلاوس فون شتوش» يذكر بأن مفهوم الشريعة يظنه الكثيرون منحصرًا في مبدأ الرجم والعقوبات، مشيرا إلى أن الشريعة هي القانون الإسلامي الذي يعني ببؤرة التوجيه المركزي للمسلمين. كما أوضح أن الشريعة نظام يمنح حرية الإيمان والمعتقد للجميع، ويدعو إلى عدم الاعتداء على كرامة الناس، كما يدعو إلى المساهمة في نشر الخير بين الأجيال القادمة. في هذا المعنى يتوجب أيضا على ألمانيا أن تغامر بمزيد من الشريعة حسب قول «شتوش».

وبخصوص مواضيع جوهرية مثل: العنف واللباس الشرعي، فقد تناول الكاتب على نحو بارز النداءات اللامنتهية إلى العنف ضد الذين يؤمنون بأديان أخرى، بالقول إن للعنف الإسلامي أصولا ترجع جذورها إلى الفترة الاستعمارية. وفيه الكاتب إلا أن الدافع الثاني هو أن الآيات التي يحتج بها الإرهابيون قد تم منحها تفسيرًا خاطئا، كما أن هؤلاء المتشددون الإسلاميين يقدمون أنفسهم جهلة بدينهم وبالتقاليد التفاعلية: «السلفيون الجدد لا يكرهون شيئا بقدر كرههم للتقاليد الإسلامية».

وقد ادعى اللاهوت المسيحي أنه يعمل من أجل مساعدة الإسلام على الخروج من العصور الوسطى، والدخول في العالم المعاصر؛ فالإسلام لم يقدم أي تنوير، ويحتاج لهذا السبب إلى مساعدتنا لكي نخرجه من القرون الوسطى. إن المساعد على التطور يقترح على الإسلام ما يتوجب عليه، ومن الأفضل بواسطة تعاليم التالوث، وأفضل مسلم هو المسيحي، وأفضل عارف بالإسلام هو مسيحي». وقد قرأ هؤلاء القرآن معزولا عن سياقه فشيطنوه، ومن الطبيعي أن يحدث سوء فهم عام وواسع للكثير من الآيات أثناء هذه القراءة وبالتالي تشوه سمعة القرآن باعتباره كلمة الله.

من الواضح أن الكاتب كان غرضه حين يكتب بتحرير ومنع تشويه مصداقية النبي محمد، أن يراه القراء المسيحيون معلما للكنيسة، تماما كما صور القرآن معلما ينتمي إلى العصور القديمة مثل المسيح. ويتعلق الأمر في النهاية بهيرمينوطيقا القرآن وتبليغه وقراءته بشكل مفهوم وصحيح، لهذا أعاد كلاوس النبي محمد إلى الواجهة لكي يغلط باب التشويه الحقيقي الذي طال القرآن ومكانة النبي محمد في الإدراك المسيحي. وقد ذكر المؤلف في المقدمة أن اللاهوت المسيحي شارك باستمرار في تشييد صورة كاريكاتورية مستفزة للإسلام، وعلى مدى سنوات طويلة عمل الكاتب على التخلص من نموذج اللاهوتي المسيحي الذي يساعد على تطور الإسلام، الذي تعود جذور تخلصه إلى القرون الوسطى، فدخله إلى العالم المعاصر. فالإسلام من وجهة نظرهم يواجه صعوبات في التصالح مع الديمقراطية وفي قبول حرية التدين والعلم الفردي و«ليس لديه سمعة طيبة اليوم».

يدعو الكاتب الديانتين إلى نقاشات مستفيضة حول القرآن وحول النبي محمد، متمنيا أن تزول كل الحصى الساخنة من النقاشات المعاصرة حول الإسلام. ويطلب من المسيحيين ألا يرو في القرآن تعارضا مباشرا مع المسيحية، فهو دين شريك، كما أنه مرآة تعكس مضامين الديانة المسيحية. ويعتبر الإسلام تاريخيا شريكا للمسيحية واليهودية. ويلاحظ



«البلاد في ما وراء الجبال».. لنير برعام

أميرة سامي *

اهتم الكاتب الإسرائيلي نير برعام بقضية الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، فعرف الكثير عنها من المقالات والكتب الفلسطينية والنصوص التي تمت ترجمتها إلى العبرية بواسطة يهودا شنهاف وعاموس عوز ودافيد غروسمان وغيرهم، قبل أن يخرج عام ٢٠١٤ - ٢٠١٥ في رحلة لأكثر من عام في الضفة الغربية والقدس الشرقية، لأجل معرفة كيف يمكن للناس أن تعيش حقاً في هذه الأماكن، التي هي في نظر معظم الإسرائيليين الآن، منطقة غامضة تماماً، يعرفونها فقط في خيالهم.

- قابل الكاتب في رحلته العديد من الشخصيات والأماكن المختلفة التي من الصعب أحياناً أن يؤمن بوجودها، ومن هذه الأماكن التي زارها رأس خميس ورأس شحادة وكفر عقب ومخيم بلاطة وغيرها، والتقى المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل، والذين سجنوا وراء الجدار الفاصل في القدس ويعيشون في أحياء مثل أحياء الغرب السيئة للغاية، والتي تسكنها سحب الدخان وحاويات النفايات المحروقة، ويذكر الكاتب أن هذه البؤر الاستيطانية يعرف مكانها عدد قليل من الطلاب والطالبات الشبان وأسرى حماس الذين أسسوا منظمة أولبان للعبرية (هي منظمة توفر الفرصة للطلاب لتطوير مهاراتهم في اللغة العبرية وإعدادهم للحياة في إسرائيل).

واستمع إلى ما يقولون وكيف ينظرون إلى المستقبل، واستمع إلى مجموعة من الشباب الفلسطينيين يقومون بالأعمال التطوعية وخدمة الناس في المخيم، حيث يعاني الشباب من البطالة ويساعدون الفقراء والمحتاجين، ويقومون بتنظيف الطرق وتفعيل الأنشطة والمسارح، وأدار الكاتب حواراً معهم، متسائلاً عن الحل السياسي في آرائهم، فقال أحدهم أنا من يافا، وقال آخر من كفر سابا (في إشارة إلى القرية العربية كפר סבא كفر سابا، وتقع إلى الشرق من كفر سابا العبرية)، والآخر من غزة، وهي أسماء مدن أو قرى أجدادهم، التي تم ترحيلهم منها، يخبرنا صلاح: عندما احتل الإسرائيليون كفر سابا هربت أسرته إلى مدينة كפר קלילה قليلية، وبعد ذلك قرية قرب תפלה سلفيت، إنهم يعتقدون عودتهم في غضون بضعة أسابيع.. فجدد مزارع، وله أرض في منطقة كفر سابا.

كانت آراء الشباب أن الأشياء الجيدة هي التي سوف تأتي بالسلام، بالنسبة للفلسطينيين، الإسرائيليون هم الاحتلال فكل واحد منهم له إخوة أو أعمام قتلهم الجيش أو في السجن الآن، إنهم يؤمنون بدولة فلسطينية والعيش مع الإسرائيليين، ولكنهم يرون أن هناك فرقاً بين الإسرائيلي والصهيوني، فاليهود الإسرائيليون هم الذين لهم رب ويعتقدون في الدين، بينما الصهيونية هي منظمة الإرهاب.

تحدث الكاتب نير برعام عن الوزير الفلسطيني زياد أبو العين، الذي قتل في مواجهة مع الجنود، حيث علم من أحد أقاربه أنه كان قائداً بحق، فقد

الإسرائيلي الفلسطيني فيما بعد، فهو أمر يدعو إلى الارتياح حقاً.

من الأماكن التي ركز عليها الكاتب في كتابه، كان مخيم بلاطة للاجئين الفلسطينيين، وهو أكبر مخيم في الضفة الغربية، تم إنشاؤه عام ١٩٥٠، داخل حدود مدينة نابلس، ويتكون من شرائح سكنية تعود لأصول مختلفة.

يصف الكاتب مخيم بلاطة بقوله: عدد قليل من السيارات تسير على الطريق ونحن نمر على أكوام من قطع السيارات والأشجار المتناثرة المحيطة حول الجبال، والمنازل المكونة من طابق واحد، وبالقرب من قرية באר'ل بورين جنوبي مدينة نابلس، اعتقلت قوة من الجيش الإسرائيلي اثنين من الفلسطينيين أشارا شكوك الجنود، ولكن لم يحملوا معهم السكاكين.

أزقة مخيم بلاطة مزدحمة والطرق مليئة بالحضر والقمامة وأكوام من الأوساخ والمجاري والشوارع الواسعة تتفرع منها الأزقة الضيقة طولها وعرضها بعرض جسم الإنسان، وفي كل زقاق تجد فئات من الأطفال يسألونك مراراً وتكراراً ويضحكون How are you? كيف حالك؟ وجدران البيوت مليئة بالكتابة والرسومات تحمل شعار الحرب على شكل بندقية وحماتين "شعار السلام".

ويقول الكاتب، إن منظمة אגף الطبية للمساعدات الإنسانية، أقامت نوعاً من العيادات ليتمكن جميع سكان المخيم من الحصول على العلاج.

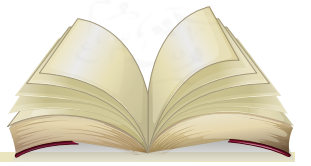
التقى الكاتب نير برعام العديد من المستوطنين

يقول الكاتب: (لقد أدركت أن الجدار الفاصل هو أول ما ينبغي إسقاطه وإزالته قبل أي حديث عن ترتيبات أو تسويات سياسية).

شاهد الكاتب العديد من الأحداث التي تجري في هذه الأماكن ومنها شابان فلسطينيان مكبلا الأيدي بالقرب من طريق مهجور بعد أن اقتحما معسكر الجنود وكانت السكاكين في أيديهما، وأعمال الشغب بجبل الهيكل، وقتل الشباب العربي في القدس، وقتل ثلاثة شبان يهود، وحرب غزة والانتخابات الإسرائيلية، وموجات العنف الجديدة وغيرها من الأحداث التي بدأ يكتشفها تدريجياً من خلال رحلته.

على خلفية هذه الأحداث المتحركة بين لحظات الأمل والشعور باليأس والتعسف من الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، قدم الكاتب نير برعام في كتاب «البلاد في ما وراء الجبال» صورة بانورامية جريئة ومثيرة ومفاجئة للصراع الإسرائيلي الفلسطيني ولم يتردد في طرح الأسئلة التي تتناسب ووجهات النظر، من أجل الإقدام على أفعال ملموسة في سبيل المستقبل.

هدف الكاتب من هذا الكتاب، هو أن يقرأ الناس الأمور على حقيقتها كما هي في الواقع، لذا لم يذكر الكاتب رأيه الشخصي إلا فيما ندر، حيث يرى أن المستقبل غامض في هذه الرحلة، بل إن «كتاب البلاد في ما وراء الجبال» قد كشف حقيقة هامة عن مستقبل الطرفين الإسرائيلي - الفلسطيني المتنازعين وهو أن الإسرائيليين لا يملكون أي رؤية بالنسبة للمستقبل، وعلينا أن نرتاب من الوضع



هذا يقول الكاتب: لقد أدركت الهراء الذي يدور في إسرائيل حول التنازلات التي قدمت في أوسلو وتيقنت أن اتفاقية أوسلو بعدما رأيت ما رأيت في الضفة الغربية والقدس، كانت في الحقيقة تنازلاً فلسطينياً قام على أساس الإيمان بسلامة النية الإسرائيلية وصدقها، هكذا كان الإنجاز الأول لأوسلو يكمن في أنها أتاحت لإسرائيل تطبيع المستوطنات وشرعتها ثم مواصلة البناء فيها، دون أن تكون لدى الفلسطينيين أي شرعية لمجرد الاعتراض.

من أهم استنتاجات برعام في هذا الكتاب:

١- إنه ليس بالإمكان التوصل إلى حل ما للصراع الإسرائيلي الفلسطيني من دون الحديث الصريح حول ما جرى في ١٩٤٨ (النكبة الفلسطينية)، فينبغي أولاً الاعتراف بما حدث، وعلى اليسار في إسرائيل أن يعرف كيف يناقش وينتقد نفسه قبل انتقاد اليمين.

٢- أوضح الكتاب نقطة منغلقة تماماً وهي تشدد الإسرائيليين، ورفض اليسار الصهيوني الحديث عن ١٩٤٨.

٣- إن فكرة حل الدولتين لشعبين يفقد على أرض الواقع، الكثير من معناه ومن فرص تحقيقه، خصوصاً حيال مواصلة البناء في المستوطنات والحوار عن «الكتل الاستيطانية».

٤- حمل الكاتب اليسار في إسرائيل مسئولية التحريض العنصري المتفشي في الآونة الأخيرة واعتبره المسئول عن الفصل بين اليهود والعرب داخل الخط الأخضر، والذي أسهم في إيجاد «جيتو يهودي» يرى في غير اليهود خطراً يلاحق اليهودي ومشروع.

٥- إن الحل الأكثر معقولية من وجهة نظر الكاتب نير برعام، حتى الآن، دولتان لوطن واحد، فهو من مؤيدي فكرة الكونفدرالية.

٦- المشكلة الأساسية في أوسلو، أن أحداً لم يتطرق هناك إلى السؤال المركزي «وماذا عن الحل النهائي؟» تأجل البحث مراراً وتكراراً، ولكن أوسلو لم تكن محاولة خداع قام بها رابين ضد الفلسطينيين، ولكن اليسار الصهيوني (حزب العمل وحركة ميرتس بصورة أساسية) لم يفهم حقاً مجال التسوية الفلسطينية.

الكتاب: «البلاد في ما وراء الجبال».

المؤلف: نير برعام.

الناشر: دار نشر عوفيد - ٢٠١٧.

سنة النشر: فبراير ٢٠١٦.

اللغة: العبرية.

عدد الصفحات: ١٤٢ صفحة.

* أكاديمية مصرية



الشعبية في مخيم بلاطة، وتتبع اللجنة إدارة شؤون اللاجئين الفلسطينيين، وهي تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تأسست عام ١٩٩٥م، بعد أن اتخذت السلطة الفلسطينية مقرها في الضفة الغربية، لقد كانت هناك دائماً هذه اللجان في مخيمات اللاجئين في الأردن أو لبنان، لكن بعد أن تم حظر اتفاقيات أوسلو لم تعد تقام في الضفة الغربية، يجلس رئيس اللجنة أحمد طوقان، في مكتبه الممتلئ بالدخان، وهو طاولة كبيرة حولها الكثير من الناس يتحدثون عن الأرض التي اشترت في المخيم ويريدون بناء روضة للأطفال، لكن القضية الرئيسية هي المال.. ليس هناك ما يكفي من المال، واستمع الكاتب نير برعام للعديد من المشاكل الموجودة داخل المخيم، منها ما يعانيه السكان من أمراض متعددة من أمراض الجهاز التنفسي وارتفاع الضغط والسكر، وخاصة مرض السكر المنتشر بين الأطفال، وإغلاق العيادات الطبية في وقت مبكر، والعلاج باهظ الثمن، وارتفاع أسعار الأدوية في الصيدلية، بالإضافة إلى مشكلة البطالة وصعوبة العثور على العمل، هذا بالإضافة إلى مشكلة المسجونين، فالرجل يخرج من السجن في سن ٣٥ ولا توجد له أسرة ولا عمل ولا تعليم، إضافة إلى وجود أكبر عدد من السجناء والوفيات من نابلس، حيث قتل حوالي ٣٠٠ شخص في الانتفاضة الثانية، والتوتر الذي يعيشون فيه، تقول إحدى السيدات «هناك ضوضاء في الليل وأحياناً إطلاق النار».

بعدما شاهد الكاتب بعينه هذه الأحداث، وجد أن اتفاقية أوسلو التي تم التوقيع عليها، كانت راجحة بالكامل لصالح إسرائيل، بسبب الوضع السيئ الذي يحيط بالفلسطينيين على خلفية الأوضاع الإقليمية، وهو ما استغلته إسرائيل أفضل استغلال، وخصوصاً عقب وفاة رابين، وعلى

كان مسجوناً ويدعو إلى تقديم تقارير عن حالة الأسرى والمحتجزين.

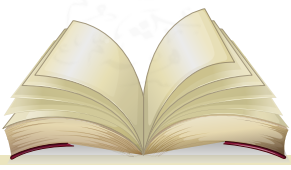
كما التقى الكاتب نير برعام، غسان دغلس، مسؤول ملف الاستيطان في شمال الضفة الغربية، ووفقاً لأقواله، إنه «يوميًا يزور القرى التي هوجمت من قبل المستوطنين، وخاصة في منطقة نابلس، حيث يوجد هناك ١٢ مستوطنة في منطقة نابلس، على بُعد حوالي ٢٥٠٠ شخص يعيشون هنا، وخاصة الناس من مستوطنة 'اللون' يتسهار يهاجمون باستمرار القرية ونحن نحملهم بقدر ما نستطيع»، ويشكو أيضاً من ضعف الأنشطة والإمكانيات، مما أدى إلى قيام المبادرات المحلية من قبل الناس لحمايتهم والدفاع عنهم، خاصة أنه قد قدم شكواه للجيش الإسرائيلي، ولكن دون جدوى.

- يقول الكاتب نير برعام بكل صراحة، إنه لا يتحدث باسم الفلسطينيين، بل يقول ما سمعه، فاليهود يناقشون يوميًا حل الدولتين، بينما ما يبحث عنه الفلسطينيون هو الحصول على أبسط حقوقهم، مثل التنقل وحرية الحركة، لذا يؤيد الكاتب أي حل يمكن تطبيقه، وفيه ينهي معاناة الناس اليومية.

اهتم الكاتب نير برعام بالتحدث إلى عدد كبير من الفلسطينيين، ورصد ما يقوله في كتابه لفحص الإنكار المتعمد في إسرائيل لما حدث في عام ١٩٤٨، فوجد أن النظرية المكرسة في أوساط اليسار والوسط الإسرائيلي عن أن الفلسطينيين يتحدثون عن حدود ٦٧، بينما هم يريدون حدود ٤٨ فعلياً، وعندما كنت أسأل الناس حيث هم، فإنهم غالباً ما يشيرون إلى منزل العائلة قبل ٤٨، وهنا أظهر الكاتب رأيه الشخصي قائلاً: «باختصار أردت فحص مواضي كلها وفيما يتعلق بـ ٤٨ وجدت أنه علي إعادة صياغة وبناء رؤيتي وموقفي السياسي من جديد، ومما قرأته للكاتبين عاموس عوز ودافيد غروسمان اللذين يعتبران ٦٧ مفتاحاً لفهم كل شيء»، ويقول نير برعام: لقد أزعجاني جداً من هذه الناحية لأنهما لم يصغيا للفلسطينيين في حين أنني لم أجد فلسطينياً واحداً مما التقيتهم لا يتحدث عما حدث في ٤٨، فليس جميعهم ممن طردوا آنذاك، لكنني التقيت أشخاصاً طردوا بالفعل، منهم مثلاً أحمد طوقان، المسؤول عن حركة فتح، قال لي: «أريد العودة إلى قريتي وإلى بيتي، وأنا مستعد أن أصبح مواطناً في دولة إسرائيل».

ويوجه الكاتب حديثه إلى الإسرائيليين، والذي يعرفه الفلسطينيون جيداً، بأن خط ٦٧ لن يجسد الرؤية السياسية المستقبلية، وهي حقيقة يجب الاعتراف بها وتسجيلها.

يقول الكاتب: في الطابق الثاني من مبنى قسم للاجئين تجمع عشرات من الناس ينتظرون، لم ينتظروا الطبيب، وإنما لقاء قصير مع مدير قسم شؤون اللاجئين، الذي هو جزء من اللجنة



«النظرية النقدية في عالم متغير»

علي الرواحي *

يتطرق هذا العمل على مدى أحد عشر فصلاً، وعن طريق أقلام فلسفية شهيرة ومرموقة على المستوى العالمي، للكثير من التحولات السياسية والاقتصادية في ضوء فلسفة النظرية النقدية التي تأسست في العام ١٩٢٣م، على يد ماكس هوركايمر (١٨٩٥م-١٩٧٣م)، ذلك أن العالم يعيش في مرحلة زمنية مختلفة تتطلب تجديد العدة المعرفية لفهم هذه المسارات والتحولات، وإيجاد بدائل مختلفة؛ ففي هذه الفصول نجد رؤى جديدة حول إمكانية الديمقراطية الانتقالية ومستقبلها في ظل هذه التحولات المختلفة؛ عن طريق الفيلسوف الألماني الشهير هابرماس، كما نجد أيضاً دراسة حول حقوق الإنسان في ظل القانون الدولي والعملة التي تقودها الليبرالية الجديدة للفيلسوفة سيلا بنحبيب؛ حيث إن الليبرالية أسهمت في انتهاك وتعرية هذه الحقوق في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والحياة الاجتماعية أيضاً؛ مما يعني ضرورة إعادة صياغة مفاهيم جديدة، وعلاقات مختلفة لنقد الرأسمالية في هذا العصر المعولم، كما يعني أيضاً في الوقت نفسه حاجة النظرية النقدية لمواجهة التراث الأوروبي المتمركز حول تصوراتهِ ورؤاه، والاستجابة لهذه التحديات في ظل الدراسات المختلفة لما بعد الاستعمار.

الكثير من الاقتصاديين يحذرون منذ فترة طويلة من الأوضاع التي لا تبعث على التفاؤل في منطقة الاتحاد الأوروبي؛ وذلك بسبب تطبيق مبدأ واحد للجميع، وهذا لا يتناسب مع الكل؛ مما يعني أن هذا الوضع يُرسل رسائل خاطئة لصُناع القرار حول الأوضاع الفعلية للاتحاد.

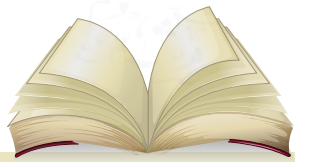
كما يتناول الجزء الثاني من هذا الفصل مشروعية السلطة، والتي كانت في الثورة الفرنسية تستمد من مبدأ المشروعية الذاتية للدولة، والتي مصدرها الحرية والمساواة بين المواطنين، وهذا بشكل مختلف عن النموذج الفيدرالي الذي يطرحه هابرماس هنا؛ حيث تقوم ديمقراطية الحكم الذاتي على مجموعة من خبراء القانون الذين يقومون بإصدار هذه القوانين عن طريق مجموعة من الإجراءات الديمقراطية، وهذا يعني أن الشعب يستطيع القيام بتعديل دستوري من خلال تداول القضايا العامة عن طريق اتباع هذه الخطوات، في حين أن الوضع مختلف بشكل كبير في الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩م؛ حيث إن هذه الديمقراطية قد ظهرت من نمط حكم الإمبراطورية البريطانية وانفصلت عنها بعد ذلك باتجاه النظام الفيدرالي، كما نجد أيضاً أن هذا النمط من الحكم متبع في سويسرا بعد الثورة الدستورية في ١٨٤٨م، والتي طورت هي

الأوروبي في هذا الصدد؛ حيث نجد أنفسنا -كما يقول هابرماس- بصدد مفهوم جديد يقوم على الديمقراطية «العابرة للقوميات»، أو تلك الإجراءات التي تسعى لخلق ديمقراطية «فوق قومية» (ص ٣)، والتي تعتبر فوق مستوى الدولة بالمعنى التقليدي لها؛ ذلك أن هذه النمط يتخذ النموذج الفيدرالي، ولكن ليس بالمعنى الخاضع للدولة كما هي الحال في الكثير من الدول المختلفة، بل بمعنى يتناول السيادة والمشروعية برؤى مختلفة. فالعصر الحالي -يقول هابرماس- يتسم بازدياد عدم الاستجابة بين المجتمع الدولي الذي يصبح مستقلاً بشكل متزايد ومنظم من جهة، وبين الكثير من الكيانات المختلفة التي تتشردم بشكل متواصل من الجهة الأخرى، وهو يطرح في هذا السياق الكثير من الأسئلة حول طريقة إدارة الأزمة في ظل العملة الاقتصادية والتواصل الرقمي الذي يخلق عوالم أكثر كثافة وغنى مقارنة بالحضبة الزمنية السابقة.

في الجزء الأول من هذا الفصل يتناول هابرماس المسائل التي تبدو غير قابلة للحل في منطقة الاتحاد الأوروبي، والتي تم تجنبها لفترة طويلة كما هي الحال في مسألة السيادة؛ وذلك لأن البنك المركزي الأوروبي يتولى إدارة هذا الموضوع من وجهة نظر اقتصادية ومالية؛ الأمر الذي جعل

في حين نجد في الفصل الثاني من هذا العمل أطروحة مغايرة لما سبقها؛ حيث تُدافع كريستينا لافونت عن فكرة أن حقوق الإنسان عززت السيادة الوطنية بدلاً من تجاهلها كما عبرت ذلك بنحبيب في الفصل السابق، كما نجد في الجزء الأخير من الفصل الثاني راينر فورست الذي يتفق ويدافع مع لافونت عن أن هناك مزاعم بوجود توتر بين حقوق الإنسان والسيادة الديمقراطية، ذلك أن هناك فكرة شائعة بوجود هذا التوتر.

ينتقل الفصل الثالث إلى منطقة مغايرة للبحث، حيث تتناول المنظر الأمريكية الشهيرة ويندي براون القانون الدولي أو العابر للدول والديمقراطية، وتطرح تساؤلاً يقود هذا البحث حول قدرة الدول على ضمان السيادة الشعبية بشكل عام، وبشكل خاص في ظل الليبرالية الجديدة التي جعلت الديمقراطية تتآكل ليس في الجزء الجنوبي من العالم بل وأيضاً في الجزء الشمالي منه، وإن كان ذلك بشكل حاد كما هي الحال في الخطابات الحرة، والحقوق المدنية، والإجراءات السياسية، واتحادات العمال.. وغيرها. مستقبل الديمقراطية: الاتحاد الأوروبي أنموذجاً في الفصل الأول يسعى الفيلسوف الألماني هابرماس لاستكشاف معنى التحولات التي تمر بها الديمقراطية مستعيناً بذلك بتجربة الاتحاد

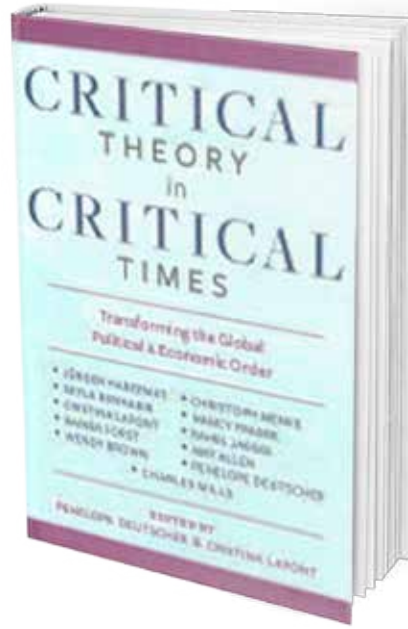


والتقدير. في حين أن الجانب القانوني يشير إلى اعتبار كل شخص بصفته القانونية الذي يجب حماية حقوقه أو حقوقها دونما النظر للجنسية. غير أن هذه الاتفاقيات كميثاق حقوق الإنسان وغيره تواجه بعقبات الخصوصية المحلية لكل ثقافة على حدة، بالرغم من توقيع الكثير من الدول على هذه المواثيق التابعة للأمم المتحدة، كما هي الحال في اتفاقية منع ومعاينة جرائم الإبادة الجماعية، واتفاقية اللاجئين في العام ١٩٥١م... وغيرها من الاتفاقيات، كالتمييز العرقي والتمييز ضد النساء التي لم توقعها بعض الدول بحجة عدم اتفاقها مع الخصوصية المحلية لها.

والسؤال هنا حسب بنحبيب: ما الذي من الممكن فعله إذا تصرف هذه الدول بوقاحة، وتعاملت بعنف مع هذه الحقوق؟ هل تعتبر هذه الاتفاقيات مجرد طموحات لا يمكن تحقيقها؟ ألم تواجه هذه الاتفاقيات بسعة من قبل هذه الدول؟

في الفصل الثالث من هذا العمل (ص ٩١)، تتناول المنظرة السياسية الأمريكية الشهيرة ويندي براون، مسألة على قدر عالٍ من الأهمية، تتطرق من خلالها لقضية الليبرالية الجديدة وأثرها على الحقوق السياسية، بحيث أنها قد تأثرت إلى حد كبير بهذه الإجراءات، وهي تتبع في ذلك منهج ميشيل فوكو إلى حد كبير، وأثر الليبرالية الجديدة أيضاً على القوانين ودورها في الاقتصاد السياسي وجعله مرحلة من مراحل الرأسمالية، أو الأيديولوجيا التي فقدت بريقها لدى الطبقة الرأسمالية، حيث إنها قد شكّلت الكثير من الأشياء بما فيها الإجراءات الإدارية للدولة والعائلة والحرب والأدب وحتى أيضاً التفكير في الرغبات اليومية، غير أن هذا لا يعني أن الليبرالية الجديدة قد جعلت كل شيء تابعاً للسوق أو للبيع والشراء، ذلك أن هناك مجالات تبقى عصية عليها، بالرغم من أنها قد نشرت هذه الفكرة أو هذا النموذج في التفكير في جميع المجالات تقريباً، حتى أصبحنا أمام مفهوم «الإنسان الاقتصادي» القائم على هذا النموذج في تفكيره.

غير أن المهم هنا في هذه الورقة هو تأثير الليبرالية الجديدة على الحياة السياسية بشكل محدد (ص ٩٦)، وهذا يعني أنه لا يمكن الاكتفاء بالقول بوجود فساد أو تواطؤ بين السياسة والقانون والنموذج الاقتصادي، بل يمكن القول بأن هذه المقدمات قد حدثت في الماضي لعدة عقود، وهي التي شكلت الحياة السياسية بطريقة عقلانية إلى حد كبير، وربما اعتباراً من الاقتصاد الشهير آدم سميث والأدبيات اللاحقة لذلك.



جديد، أو نظام حكم عالمي. غير أن هذا الاستثناء الأمريكي ليس جديداً فهو متداول ومنذ فترة ليست بالقصيرة في أدبيات النظرية السياسية، وبشكل خاص بعد قرار مونرو الصادر عن الرئيس الأمريكي الخامس.

مهما يكن، فإن هناك الكثير من الأسئلة التي تطرحها هذه الواقعة وغيرها في السياق الدولي والمحلي على حد سواء؛ ومن ضمنها: ما هي مكانة القانون الدولي بما فيها القانون القومي لكل دولة على حدة، وهل تعتبر دستورية أو ملزمة قضائياً؟ إذا أخذنا في الاعتبار أن القانون الدولي أصبح جزءاً من الصلاحية الدستورية بموجب الكثير من الاتفاقيات بين الدول كما هي الحال بين جنوب إفريقيا وهولندا.

تثير هذه الواقعة أيضاً سؤالاً آخر في هذا السياق؛ وذلك بموجب التطورات الأخيرة في الجانب القانوني والتطبيقي على حد سواء؛ حيث من الممكن اعتبارها بأنها تقود إلى «دستورية عالمية» مع أو بدون الدولة، والتي من الممكن اعتبارها كما ذهب الكثير من الباحثين كبندرة «لقانون واحد لجميع الدول» (ص ٢٣).

تري بنحبيب أننا بصدد العودة إلى مفهوم الكونية أو العالمية (ص ٢٥) من جديد؛ حيث نشأت هذه الكونية تحديداً بعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام ١٩٤٨م، الذي تحول العالم بموجبه منذ ذلك الوقت من العالمية إلى مبادئ العدالة الكونية أو الكوسموبوليتية، حيث اتخذت هذه الكونية جانبين، أحدهما: أخلاقي والثاني قانوني. ففي الجانب الأول: هناك التزام باعتبار كل شخص مستقلاً ينبغي أن تتوفر له الرعاية

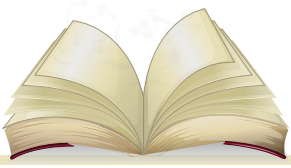
الأخرى نمط حكم مختلفاً عن المراحل السابقة، غير أن ثمة إشكالية تقوم في هذا النظام وهي في ذلك التداخل بين العلاقات الخارجية وعلاقتها فيما بين الأعضاء من جهة، وبين القانون المحلي والاتفاقيات الخارجية من الجهة الأخرى.

وفي الجزء الثالث من هذا الفصل، يذهب هابرماس بعيداً في تحليله لهذا النظام الفيدرالي، من حيث أن التغييرات أو التأثيرات لا تقتصر فقط على الأنظمة السياسية بين الدول بل تصل أيضاً إلى الأشخاص أو المواطنين ذاتهم (ص ٨)، فهم من الضروري أن يمارسوا السيادة عن طريق المشاركة الشعبية فيما بينهم، وهو ما يضعنا أمام مفهوم «دولة المساواة» المنضوية تحت القانون الدولي.

يضع هابرماس عدداً من الشروط لفهم الانحراف الدستوري في ظل تجربة الاتحاد الأوروبي وذلك بهدف إصلاحها، ويهدف إعادة الاعتبار للخيارات الشعبية وفق المفهوم الجديد للديمقراطية، حيث من الضروري الحصول على إجماع الأعضاء في الاتحاد الفيدرالي لحدوث أي تغيير، كما أن حق مغادرة الاتحاد تكون مكفولة ضمن مفهوم السيادة الأصلية دون أن يعني ذلك تقسيم الاتحاد، وهذا يؤدي إلى ضرورة مراجعة الدستور القومي لكل دولة على حدة بما يتناسب والبناء المعماري الأكبر للاتحاد الفيدرالي الأوروبي.

السيادة القومية وحقوق الإنسان:

في الفصل الثاني (ص ٢٢) من هذا العمل، تتحدث الفيلسوفة الأمريكية وأستاذة العلوم السياسية في جامعة ييل الأمريكية سيليا بنحبيب، عن السيادة الديمقراطية للدول والقانون الدولي؛ وذلك على أثر حكم المحكمة الأمريكية بناءً على واقعة حدثت في ١٧ أبريل ٢٠١٣م، حيث أصدرت المحكمة الأمريكية العليا قراراً طال انتظاره، بعد أن قام المدعي النيجيري برفع دعوى ضد الشركة الألمانية للبترول وذلك إثر محاولتها إسكات المتظاهرين الذين يهدفون لحماية البيئة وعدم تدميرها من قبل شركات النفط، حيث تم قتل بعض المتظاهرين كما تم ضرب بعضهم الآخر. تثير هذه الواقعة الكثير من التساؤلات حول السيادة الوطنية من جهة، وحول «الاستثناء الأمريكي» من الجهة الأخرى أو كما وصفه البعض «بالفضيحة الأمريكية» التي تتدخل في شؤون الدول الأخرى عن طريق إصدار الأحكام القضائية وملاحقة الكثير من الأفراد والمؤسسات المختلفة أو التي تصل أحياناً إلى التدخلات العسكرية. كما اعتبره بعض الباحثين وصنّاع السياسة تعبيراً عن «سيادة جديدة»، وذلك عن طريق ظهور نظام قانوني



تقتصر على مجال واحد فقط، كالمجال السياسي كما هو الحال في الشكل الحالي للاتحاد الأوروبي أو بقية التكتلات الإقليمية والعالمية، التي تتغير بين فترة وأخرى في اتجاهات مختلفة، ومتعددة من حيث الانفتاح أو الانغلاق، غير أن الثابت هنا أن الشعوب أصبح بإمكانها أن تقرر مصائرنا، وترسم خرائط مختلفة لمستقبلها عن طريق اتباع الكثير من الإجراءات الإدارية والتنفيذية وغيرها، وهذا ينطبق على بقية النماذج الاتحادية الأخرى خارج أوروبا. كما أننا أمام مفاهيم تتسع بشكل مستمر، كمفهوم الاقتصاد الذي لم يعد مقتصرًا فقط على المعاملات المالية، والأسهم، والأرقام، فهو مرتبط بالممارسات الاجتماعية المختلفة، والمتعددة، ذلك أن الاقتصاد قد أصبح منذ فترة طويلة مفهوماً واسعاً ولم يعد النظر إليه حسب النظرية التقليدية. وفي الجانب الآخر، وهو الذي لا يقل أهمية عن غيره، نجد أن النظريات والأفكار ومن ضمنها النظرية النقدية بالطبع لا يمكنها أن تتقدم دونما التزود بالنقد الموضوعي على المستويين: الداخلي والخارجي على حد سواء. ذلك أن هذا النقد من شأنه لفت الانتباه للكثير من المواضيع والقضايا التي لم يتم الانتباه إليها في بداية تأسيس أو نشأة هذه النظريات؛ فالخوف من النقد هو في الأساس خوف من الحيوية والاستمرارية والتغير في المواضيع والأطروحات الجديدة، التي بالضرورة تترافق مع التغيرات التي يمر بها العالم بين فترة وأخرى. ففي سياق النظرية النقدية، نجد أنها لم تتحدث عن المقاومة والاستعمار وغير هذه المواضيع التي شكلت مؤخراً مساراً مهماً في التخصصات العلمية والأكاديمية العالمية، كما وجدناه في نقد إدوارد سعيد للنظرية النقدية، وذلك عن طريق تتبع مساهمات وكتابات أهم أقطاب النظرية النقدية منذ تأسيسها.

- الكتاب: «النظرية النقدية في عالم متغير».

- المؤلف: مؤلف جماعي.

الناشر: Columbia University Press.

بالإنجليزية، ٢٠١٧.

- عدد الصفحات: ٢٩٠ صفحة.

* باحث وكاتب عماني

فقط، أو السمات المتكررة والمعتادة، ذلك أنها من الممكن أن يتم ممارستها بشكلٍ ضمني وليس بشكلٍ صريح.

٢- كما أنها ليست تلك «الحقائق البهيمية»، فهي تمر من خلال عملية الفهم والتأويل بوصفها أشياء، لها أهداف واضحة وأخرى ضمنية.

٣- تنتظم الممارسات عن طريق المعايير، فكل ممارسة تنتظم من خلال فكرة أساسية وهي إنجازها بناءً على معايير متوقعة.

٤- أخيراً: فهي متأصلة أو ملازمة لغاية معينة، أو لهدف معين.

كما نجد أيضاً في الفصل الخامس (ص١٨٣)، والمعنون «بنهاية التقدم في أزمنة ما بعد الكولونيالية»؛ حيث تناقش الباحثة آيمي آلين موضوع النظرية النقدية في أزمنة ما بعد الكولونيالية، مفتتحة هذا البحث بعبارته لإدوارد سعيد في كتابه الشهير الاستشراق والتي يتحدث فيها عن النظرية النقدية ناقداً لها أنها صمدت عن النظرية العنصرية، ومقاومة الامبريالية، والمعارضة ضد الإمبراطورية.

الأمر المثير هنا أن آلين تتفق مع إدوارد سعيد في نقده، وذلك بعد مضي ما يقارب العقدين من الزمان على صدور الاستشراق؛ وذلك من خلال تتبع كتابات الأسماء البارزة في النظرية النقدية مثل هابرماس، وأكسل هونت، على وجه التحديد، غير أن الباحثة تستدرك أسباب هذا الصمت المطبق، معللة ذلك بسبب أن هذه القضايا تقع خارج مجال اهتمامات النظرية النقدية، فهي تهتم إلى حد كبير ومنذ نشأتها بقضايا مختلفة، ومغايرة، مثل: التقدم التاريخي، والتنمية، والتطور الاجتماعي وغيرها من القضايا ذات الصلة، حيث اتخذت إستراتيجية اليسار الهيجلي، من حيث اهتمامها بالفعل التواصلي كما هو الحال لدى هابرماس أو الاعتراف كما هي أطروحة هونت. كما أنهما -تضيف آلين- قد اعتمدا في مواضيعهما على التعليم التاريخي والتطور الاجتماعي لفهم خبايا معايير رؤيتهما. وفي ختام عرض هذا العمل النوعي، نستطيع استخلاص الكثير من النتائج، وربما أهمها: أننا أمام تحولات بنوية عميقة تطل مختلف مسارات الحياة؛ سواء بشكلٍ ضمني أو بشكلٍ صريح، فهي لا

في الفصل الرابع (ص١٦٠)، تناقش الباحثة السويسرية راحيل جيبي مسألة «المفهوم الواسع للاقتصاد: الاقتصاد بوصفه ممارسة اجتماعية ونقداً للرأسمالية»؛ حيث تبدأ هذه الورقة بالعودة للفيلسوف الألماني ماكس هوركايمر؛ وذلك في عمله المحوري «النظرية النقدية والنظرية التقليدية»، وهي تنطلق في ذلك من ضرورة التفريق بين مفهومين للاقتصاد: الضيق والواسع؛ فالنظرية التقليدية كانت ترى تأثير الاقتصاد على العلاقات الاجتماعية، وذلك بتأثير من الفيلسوف المجري جورج لوكاش في عمله المهم حول التشيؤ الذي نظر للاقتصاد بنظرة واسعة وعريضة، مع كل ما رافقها من استقلال، وظلم، وتشيؤ، واغتراب... وغيرها. وهو ما انعكس بشكل كبير على فلسفة النظرية النقدية وبشكل خاص في مراحلها الأولى؛ فهي اقتضت فقط على مهمة نقدها للرأسمالية، غير أن الأجيال اللاحقة للمنظرين من النظرية النقدية ومن ضمنهم هابرماس قد اتخذوا طريقاً مغايراً للنقد، ومنها توسعت مهمة النظرية النقدية لتصل إلى مواضيع تهم الحياة الواقعية وأنماط المعيشة اليومية.

ولكن، ما الذي يعنيه فهم الاقتصاد بالمعنى الواسع عوضاً عن المعنى الضيق؟

مبدئياً، وبشكل متردد إلى حد كبير من الممكن القول أن المفهوم الضيق يجعل زاوية النظر محدودة إلى درجة كبيرة، غير أن المفهوم الواسع في المقابل من الممكن عن طريقه أن يتسع ليشمل تصورات الممارسات الاجتماعية والاقتصادية البشرية، وهو ما يجعل هذه الممارسات متداخلة إلى حد كبير فيما بينها، الأمر الذي يجعل هذه الممارسات الاقتصادية بوصفها نمطاً من أنماط الحياة الاجتماعية المختلفة. حيث يحيل هذا المفهوم «الممارسات الاجتماعية» إلى العالم المادي، بما فيها الممارسات اليومية كالتسوق، وأداء الامتحانات، أو غير ذلك من الممارسات اليومية العامة، كما أنها تشير إلى العادات والسمات المختلفة في الحياة اليومية.

ولأجل ذلك، تقوم الباحثة بتحديد ثلاث سمات مختلفة لمفهوم الممارسة الاجتماعية، وهي على النحو التالي (ص١٦٥):

١- لا تقتصر الممارسات على الأفعال المقصودة

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف : ٣١. ٢٤٦٤٤ - ٣٢. ٢٤٦٤٤ +٩٦٨ ، فاكس : ٥٧٩٩. ٢٤٦. ٩٦٨ +

البريد الإلكتروني : www.altafahom.net - al.tafahoom@gmail.com - tasamoh@gmail.com